مصطفى محمود

زعيم



دار المعارف

مصطفى محمود



مسرحية من ثلاثة فصول عن حياة البطل العربى «غوما» وكفاحه للحكم التركى فى الشمال الأفريقى على مدى عشرين عاماً

الطبعة السادسة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

الفصل الأول

سوق طرابلس الغرب .. نهاراً .. ساحة فسيحة يزدحم فيها الباعة وقد صفوا بضائعهم على الأرض فى دكاكين واختلط الدواب بالمارة من كل لون .. جنود أتراك فى بذلاتهم الرسمية .. وعرب يلبسون الجرود .. وأعيان يلبسون الكاط الحرير .. ومشايخ قبائل يلبسون البرنس المنقوش بالفضة والطربوش الأحمر ذا الزر .. وفرسان عرب على خيولهم .. ونساء محجبات لا يظهر منهن أصبع خلف العباءات .

نرى سامرًا يتحلق حوله المارة وفى الوسط على كرسى مرتفع يقف المنادى يدق جرسًا .

المنادى : (بصوت جهورى) يا أهل طرابلس .. يا سكان الديار من كل الأعمار .. صنّاع وتجّار وعرب أخيار ... بشرى

هنيّة فى هذه الصبحيّة نزف لكم هذه الإخباريّة . .
لقد هزمت القوات التركية جيش الدولة القره مالليه
وعادت طرابلس إلى الخلافة العثمانيّة وسقطت
الحكومة الاستغلاليّة التى ذقنا على يديها شرّ البليّة
وهكذا زالت دولة القره مالى الظالمة وانتهت سيطرتها
الغاشمة . . وعاد الأمان بعودة المُلْك إلى يد مولانا
السلطان سليل آل عثمان . . وجاء الوالى التركى نجيب
باشا وفى يده الفرمان وخاتم الأمان بتخفيف الضرائب
والجبايات والأعشار والاستقطاعات (يدق الجرس) ،
ومن اليوم تكون المستحقّات كما هو آت (يدق الجرس) .
ضريبة الطاقية على كل رأس آدمية ٤٠ قرش تركية . . وعلى كل جمل وناقة ٤٠ قرش تركية .

معروف بن عون : (مقاطعاً فى سخرية) ترقية والله وأىّ ترقية . . مولانا
السلطان ساوانا بالحيوان – كل رأس فيكو يا جدعان
عليها تعريفة قد الرأس العجالى تمام .

المنادى : لا تهرج يا معروف واشكر السلطان لأنه جعل أمثالك
من الفجّار أعلى شأناً من الحمار . فعلى كل حمار
يدفع صاحبه أربعة قروش ، وعلى رأسك تدفع

أربعين . منتهى التشريف والعدل والتخفيف على أمثالك من الحلاليف .

معروف : حلاليف حلاليف بس نلاقى العليف . وحياتك ما حدّ لاقى رغيف (**ضحك وضجة**) .

المنادى : هس . . هس

(يدق الجرس) وعلى كل شجرة ٢,٥ قرش سنوية تدفع عن كل نخلة وزيتونة وكرمة ، أما باقى الأشجار فتعفى من الأعشار .

معروف : (ساخرًا) وهو فاضل إيه يا عم . . هو احنا بنزرع حاجة غير النخل والتين والزيتون ؟ .

المنادى : يا معروف يا متلوف اسمع كلام السلطان وأنت ساكت .

معروف : حاضر يا سيدى سمعنا وأطعنا وللخوخ زرعنا .

المنادى : أما العيون والآبار فعلى كل عين تستعمل للرىّ والسقاية ٢٥ قرش سنوية .

أما محاصيل الحبوب فيدفع منها أربعة أعشارها بمعدّل مجيدى ذهب عن كلّ قنطار . . وعلى الجواهر ١٦ بارة عن كل أوقية فضة . ١٦ بارة عن كل مثقال ذهب . ويعفى من هذه الضرائب الأتراك والكراغلة وأولادهم

وكذا مشايخ القبائل وأولادهم والقناصل وجالياتهم الأجنبية كما هو معلوم فى المكارم السنية والإعفاءات السلطانية (يدق الجرس) هذا وقد تفضل حضرة صاحب العزة الوالى بدعوة عموم المشايخ من شتى الطوائف وكافة أعيان طرابلس من التجار والعلماء للاجتماع به فى مسجد الشهيد درغوت لأخذ العهد والميثاق وتوقيع الأوراق . . والرجاء عدم التخلف . . والحاضر منكم يعلم الغايب .

(ينزل المنادى وينفضّ السامر . . ولا يبقى إلاّ معروف ويوسف القره مالى «عجوز متهالك تتهدل لحيته البيضاء على صدره» وغوما وأتباعه من مشايخ المحاميد وفرسانها عبد الجليل وقاسم المحمودى وفرسان آخرون) .

معروف : **(يضرب يوسف القره مالى على مؤخرته)** قره مالى يوك . . انتهى عهد قره مالى يوك . . حكومة استغلالية ذقنا على يديها شر البلية ، شلوت للقرة مالية .

يوسف القره مالى : عصر قره مالى أعظم عصر فى تاريخ العرب . . بحرية طرابلس فى عهد سيادتنا أسرت سبع سفن سويدية . . وجاء نابليون ليتوسط عند سيادتنا لإطلاق

سراح السفن . . جناب نابليون . . جناب نابليون شخصيّا .

أسطول أمريكان يدفع لنا ٦٠,٠٠٠ دولار رسم مرور لسفن الأمريكان فى البحر ، أسطول قره مالل لا يسمح . . أسطول قره مالل يغرق سفينة حربية أمريكية فيلادلفيا . . ويأخذ قبطان أمريكانى أسير . . ها ها ، هذا عصر قره مالل . .

معروف : الراجل بيخرّف بيقول إيه ؟..

غوما : كلام صحيح وارد فى التاريخ يا معروف . . يوسف قره مالل صاحب جاه وسلطان وهيلمـان مثل محمد على فى مصر دوخ دولا كبرى . . وجاءت أيام وراحت أيام .

معروف : وراح القره مالل . . مسكين قره مالل . .

عبد الجليل : (للشيخ العجوز) أيام امتشاق الحسام والضرب فى المليان ارتفع شأن قره مالل . . بعدين قره مالل ياكل يوغورت ويحلّى بقلاوة ويسهر عند سعادات هانم ويجمع البارات من العرب بالكرباج . . انتهى شأن قره مالل .

يوسف قره مالل : مضبوط أفندم . . معاك حق أفندم . .

غوما : (يلوّح بسيفه) فى إمكاننا نحن العرب أن نكون أقوى من دولة قره مالل .

معروف : كيف يا مولانا والكرباج ورانا ؟

غوما : الكرباج وراءنا لأننا رضينا العبودية ؛ لأن العربى يدفع البارات والقروش والعثمانلى يبنى الأساطيل . العربى يزرع النخل والعثمانلى يأكل البلح . الوظائف للترك وقيادات الجيش للترك والبحرية للترك ، والعربى يكتفى بصنع النعال والأوتاد والخيام والجرود .

قاسم : وما العمل ؟ . .

غوما : الثورة . . الخليفة العثمانى يحكمنا باسم الإسلام فأين مساواة الإسلام والدولة نصفها سادة ونصفها عبيد ، يجب أن نطالب بالمساواة بوظائف الدولة وقيادات الجيش وأن نقرر ضرائبنا بأنفسنا

معروف : الضرائب تأتى من فوق ؛ ومن لا يدفع بالذوق ، يدفع بالعصا .

غوما : يجب أن نثور على العصا .

معروف : نثور على الإمبراطورية العثمانية كلها ؟.

غوما : (فى عنف) . . إرادة صادقة واحدة تستطيع أن تدكّ الجبال .

قاسم : ومن أين لنا بالسلاح لنواجه جيشاً تركيا بأسره ؟

غوما : (يصرخ) نغصبه .

الكل فى همس : نغصبه ؟!

غوما : (بعزم) يجب أن تنقلب هذه الرمال الوادعة الهادئة جحيماً على غاصبيها وهذه القنوات التى جفّت من طول الخضوع والخنوع تمتلئ دماً . . كل هؤلاء البدو الأشراف من بطون هلال وسليم والعمايم والنوايل والغنايمة والرحيبات والرجبان والعبيدات والجوارى وأولاد معروف وأولاد ذويب . وأولاد قايد وأولاد عون وأولاد سلطان . . الكل يجب أن يثوروا يداً واحدة . . يجب أن ننطلق كالرياح فى الجهات الأربع لنكون العيون والآذان لهم جميعاً . . أنت يا عثمان تذهب إلى مصراته وأنت يا عبد الجليل إلى فزان وأنت يا ميلود إلى الدواخل وأنت يا شقرون إلى جنزور وأنت يا غريانى إلى الجبل . . يجب أن تتحرك هذه النجوع ويخرج منها ألوف المردة .

يوسف قره مالِلى : عفارم . . عفارم . . عثمالِلى إضرب فى المليان
قره مالِلى إضرب معك .

معروف : (ساخراً) قره مالِلى كحيان . . حاتضرب معنا بإيه ؟
حاتهزّ ذقنك !

يوسف قره مالِلى : ذقنى أطول من لسانك . خرسيس ؟!

معروف : حاتعمل إيه يا قره مالِلى والنبى ؟

يوسف قره مالِلى : دعوات الله كريم ينصر العربى الغلبان .

معروف : حرب على طريقة عشانا عليك يا رب . . لا والله خليها
لك .

غوما : (ناظراً فى إعجاب إلى القره مالِلى) ما زال يثور وهو فى
التسعين . . فارس شجاع قره مالِلى .

يوسف قره مالِلى : تشكرات أفندم . . الله معك .

غوما : (ينظر إلى قاسم) والآن دورك يا قاسم . . .

قاسم : أنا سوف أذهب إلى يفرن . . هذه بلدى وسوف
أجعلها تهبّ هبّة رجل واحد .

غوما : (فى تفكير) لا . . إنى أعد لك دوراً أكبر ، سوف تبقى
معى . . سوف نتشرّف اليوم بلقاء نجيب باشا فى مسجد
درغوت فى وفد الأعيان والتجار لنرى ما يكون من أمر

العهد والميثاق وتوقيع الأوراق .

معروف : وأنا يا غوما ؟..

غوما : يكفينا لسانك سلاحاً شريطة أن يكون قاطعاً كالسيف .

معروف : نعم . . نعم . . وهى أيضاً حرب مأمونة حرب الألسن هذه . . أدِم علينا نعمتها يا رب .

غوما : ليست مأمونة دائماً يا معروف .

(يظلم المسرح تدريجيًا ويسمع فى الظلام قرع جرس المنادى ونداءاته) .

— إلى مسجد درغوت يا معشر أعيان طرابلس ، إلى مسجد درغوت يا مشايخ .

إلى مسجد درغوت يا تجار .

إلى اجتماع الوالى سيد البلاد نجيب باشا .

(يضيء المسرح فنرى مسجد درغوت ملآنا بجمهرة من الأعيان والتجار والمشايخ . . . أحمد قورجي نائب الوالى واقفاً فى الصدارة . . معروف وغوما وقاسم يتغامزون همساً . . المشهد ساعة ظهر) .

أصوات : صاحب السعادة الوالى فى الطريق .

أصوات : أدام الله عز مولانا . . أدام الله عز مولانا .

أحمد قورجي : (يكلم المجتمعين) صاحب السعادة الوالى مهتم كثيراً
بمطالب أهل طرابلس ورضاء أهل طرابلس . . الله
أنقذ هذه البلاد من ظلم القره مالل وكرباج القره مالل
على يد الوالى . . الله أراد لكم الخير الكثير بقدوم
الباشا . . الباشا قائد بحرى عظيم . . أسطول عثمانى
كبير ، اثنان وعشرون سفينة بقيادة الباشا يحمى شواطئ
طرابلس من الكفار الملاعين . . الباشا يفكر كل يوم فى
خير طرابلس . . الباشا أمر بصكّ عملات
جديدات . . بارات ومجيديّات لتسهيل المعاملات .
معروف : (هامساً فى غيظ) لتسهيل الجبايات ونشل الثروات .
أحمد قورجي : السلطان أصدر فرمان بتعيين الباشا على ولاية
طرابلس . . الله نشكر على الاختيار السديد . .
تعظيمات كثيراً لله . . تشكّرات كثيرات . . آمين .
أصوات : آمين .
معروف : (هامساً) آمين ياخذكم أجمعين يا منافقين .
(صوت ضجّة فى الخارج) .
أحمد قورجي : مولانا وصل . . وقوف جميعاً تحية للباشا .
(يدخل الباشا محمولاً على كرسى وعن يمين ويسار خدم يحركون فى

أيديهم مراوح للتهوية على وجهه .. الخدم يضعون المخفة فى مكان الصدارة) .

الباشا : سلام .. سلام ..

الكل واقفون : سلام عليكم ورحمة الله .

الباشا : جلوس جميعاً .. جلوس .. اجلس أفندم اجلس .

(الباشا يناول الفرمان السلطانى لنائبه أحمد قورجى ليتلوه على أهل طرابلس) .

الباشا : اقرأ الفرمان السلطانى أحمد قورجى .

أحمد قورجى : (يبسط الفرمان ويقرأ) نحن خاقان البرّين والبحرين وحاكم الدردنيل والبسفور وخليفة المسلمين وسلطان آل عثمان نأمر بأن تكون ولاية طرابلس لعاملنا مصطفى نجيب باشا يتولى شئون المسلمين فيها بأمرنا وخاتمنا .. كلمته كلمتنا وطاعته طاعتنا (يهتف) أعز الله السلطان .

أصوات : أعز الله السلطان .

الباشا : أكرمين جميعاً .. مباركين جميعاً .. عرب شجعان .. إسلام منتصر بإذن الله .. نحن هنا نفتح صفحة جديدة نمحو فيها مظالم قرهماللى .. نسمع

شكايات ونحقق عدالات ونخفف جبايات ونصدر إعفاءات عن مستحقات على الفقراء المساكين .

غوما : (يصيح) يا سيادة الباشا . . أنا أطالب بالنيابة عن أهل البلد بإعفائنا من الضريبة على الأشجار .

أحمد قورجى : (مقاطعاً) ضريبة على الأشجار بسيط جداً أفندم ٢.٥ قرش تركية تدفع سنوية . . سنوية . . فاهم أفندم .

غوما : عن كل نخلة وزيتونة وكرمة ٢.٥ قرش مبلغ كبير أفندم وهذه السنة قحط وجفاف والأمطار مقطوعة من شهور والأشجار عارية من الثمار . . كيف ندفع عليها أعشار .

أصوات : تمام والله تمام . . كلام فى محله مولانا . . نرجو النظر مولانا .

احمد قورجى : كفر أفندم كفر . . كلامك اللى بتقوله كفر . . فى عهد مولانا وببركة السلطان أمير المؤمنين لازم إنزل مطر . . نقرأ الفاتحة جميعاً إن ربنا إنزل مطر . . بسم الله الرحمن الرحيم .

الجميع يقرءون الفاتحة : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك

يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين .

أحمد قورجي : ربنا قادر على كل شيء إنزل مطر . . والخليفة أمير المؤمنين يقرأ تبريكات ويتلو صلوات لله كريم إنزل مطر **(بعنف إلى رجل ضعيف من الجالسين)** فاهم أفندم فاهم أفندم . . إنزل مطر . . ضروري إنزل مطر .

الرجل : فاهم أفندم . . إنزل مطر . . ضروري إنزل مطر .

أحمد قورجي : إنزل مطر . . ادفع جبايات عشان إصلاحات .

غوما : نحن نوافق على دفع الضرائب من أجل الإصلاحات أفندم ولكننا لا نجد إصلاحات ، الضرائب تدخل إلى كيس الجابي ولا يصل منها إلى الشعب شيء .

الباشا : الضرائب نشتّرى بها بنادق وذخيرة وسلاح ورواتب عسكر سنجق سلطان ليحارب الكفار ويحمى البلاد .

غوما : الضرائب تدفع ثمن بنادق وسلاح لسنجق السلطان تمام أفندم ولكن سنجق السلطان يستعمل هذه البنادق ضدنا نحن وليس ضد الكفار ليأخذ مزيداً من الضرائب . . وهذا ما يفعله سنجق الدولة بقروشنا .

أحمد قورجى : مخ يوك . . مخ يوك . . عربى مجنون . . إعفى عنه مولانا . . إعفى عنه .

الباشا : **(يضحك)** فعلاً مخ يوك . . نعفى عنه . . نعفى عنه .

أحمد قورجى : تشكرات لمولانا ولسماحة مولانا وعدالة مولانا فى معاملة العرب . . نقرأ جميعاً عهد وميثاق علينا بالطاعة . . كلمة مولانا علينا كلمة الخليفة وأمره أمر الخليفة وعصيانه عصيان الخليفة أمير المؤمنين حامى حمى الدين ورافع راية الإسلام . . الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم . .

الكل : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين .

الباشا : أكرمين جميعاً . . مباركين جميعاً . . مشايخ عرب شجعان . . وزّع إنعامات مولانا السلطان على كل المشايخ . كل شيخ قبيلة برنس ملكى مطرز بالذهب صناعة أسطنبول . . علامة الرضا السلطانى .

أحمد قورجى : تشكّرات مولانا تشكرات **(يفتح الصناديق)** .

أصوات : تشكرات مولانا تشكرات .

(أحمد قورجي يخرج البرانس ويتقدم المشايخ واحداً واحداً ويلبسون البرانس . يبقى واحد هو غوما شيخ قبيلة المحاميد . . يشير عليه زملاؤه المشايخ بأن يتقدم) .

أصوات : (مشيرة إلى غوما) شيخ غوما المحمودى . . شيخ قبيلة المحاميد . . اتفضل يا شيخ . .

(غوما يتقدم فى تردد) .

أحمد قورجي : (فى دهشة) شيخ المحاميد . . تقدم ، مولانا عفا عنك . . مولانا مسامح كريم . .

الوالى : أى نعم تفضل .

(غوما يتقدم فى غيظ . . أحمد قورجي يلبسه البرنس وهو ينظر إليه نظرة لها ما بعدها) .

أحمد قورجي : والآن نوقع على الأوراق . . بالموافقات (مشيرًا إلى أوراق بجانبه) معاهدات علينا جميعاً بالولاء والطاعة . . وكل واحد يذهب إلى حال سبيله . . تشكّرات للوالى . . تشكرات .

(يبدأ كل واحد فى التوقيع والانصراف) .

الباشا : (خارجًا على محفته) سلام . . عرب أكارم . . سلام .

أصوات : سلام عليكم ورحمة الله .

(لم يبق الآن إلاّ أفراد قلائل . . غوما ما زال يتلكأ مع معروف ويحاول أن يتسلل دون أن يوقع . . إشارة من أحمد قورجى إلى الحراس . . ينقض الحراس فيعتقلون غوما ويضعون فى يده السلاسل . . يقفز قاسم ومعروف كالقطط من نافذة المسجد هاربين . . يفر من تبقى فى ذعر) .

[يظلم المسرح تدريجياً] .

(حينما يضيء المسرح نرى طريقًا يسير فيه طابور من الأهالى فى السلاسل يحف بهم الحراس . . قاسم ومعروف فى ركن . . يوسف القره مالى يجلس متعبًا على حجر . . المنظر ليل تضيئه الفوانيس) .

قاسم : (مشيرًا إلى الطابور) ما تبقّى من عائلة القره مالى . . حريم وأولاد وشباب وشيوخ وخدم وعبيد القره ماللية يشحنون اليوم بالبحر إلى المنفى . . لم يعف من هذا المصير سوى الكهل الفانى (مشيراً إلى يوسف) الشيخ يوسف القره مالى .

يوسف القره مالى : (يمسح دموعه) الموت أهون يا ربى . . الموت أهون (يبكى) حكمتك ربى . . حكمتك . . لا اعتراض .

معروف : مسكين شيخ يوسف (ملتفتا إلى قاسم فى همس) وإيه أخبار الإخوان .

قاسم : الثورة مشتعلة فى فزان ومصراته وجتزور والجبل والدواخل والمصادمات والاضطرابات تقع كل يوم . .

والغنائم من البنادق والذخائر تتكدس . . والجيش التركى فشل فى قمع الاضطرابات . . والسلطان فى الآستانة ثار لفشل الوالى مصطفى نجيب باشا وأرسل فرمان بعزله وتولية محمد رئيف مكانه .

معروف : محمد رئيف حاكم الدردنيل . . رجل شديد ملعون .

قاسم : نعم ولكنه بدأ بالملاينة والمصالحة وأفرج عن غوما كمحاولة لتهدئة القبائل الثائرة .

معروف : (فى دهشة) غوما خرج من السجن . . وين هو ؟

قاسم : طار على فرسه إلى مصراته ليقود الجحافل الثائرة هناك .

معروف : واحنا منتظرين إيش ؟

قاسم : سوف أتلقى رسالة اليوم من غوما بالتعليمات . . هناك حشود تركية تجهز الآن فى طرابلس ويجب أن نستعد لها .

هذه المرة يجهزون لنا المدافع . . تصور .

معروف : يا خبر اسود .

قاسم : مالك ترتجف هكذا ؟.

معروف : لا . . ولا حاجة . .

قاسم : سأمرنك لتكون طوبجى عظيم .

معروف : لا يا عم يفتح الله . . أنا راجع أبيع روبابيكيا زى ما كنت (يدير ظهره منصرفاً . . ما يكاد يخطو خطوتين حتى تظهر شلة من عسكر الترك بأسلحتهم قادمة . . فيعود مهرولاً لينكمش فى قاسم مغمغما) طويجى طويجى . . زى بعضه أمرى لله .

(يسمع صوت دراويش ينشدون)

(يدخلون فى موكب يحملون الفوانيس والأعلام الملونة للطريقة الشاذلية ويتمايلون منشدين)

مولاى صلى وسلم دائماً أبدا على رسولك خير الخلق كلهم .

(أحد هؤلاء الدراويش يحتك لحظة بقاسم ويدس فى يده خطابا . . يمضى الموكب وهو ما يزال ينشد) :

مولاى صلى وسلم دائمًا أبدا على رسولك خير الخلق كلهم .

قاسم : (يفتح الخطاب بسرعة ويقرأ) القافلة تصل بعد نصف الليل . . عشرة جمال تحمل التمر والعجوة .

معروف : تمر إيه وعجوة إيه . . وده وقت عجوة يا أخى .

قاسم : اسكت يا معروف اعمل معروف . . (مستمرًا فى القراءة) أرجو توزيع التمر على الإخوان فى تاجورة والاحتفاظ بالعجوة بعيداً عن الرطوبة .

معروف : (يضحك) وغداً بإذن الله انتظروا حمولة أخرى من البسبوسة .

قاسم : (مستمراً فى القراءة) وبعد الفراغ من المهمة الرجاء الذهاب إلى سوق البلح .

معروف : بلح إيه وعجوة إيه وتمر إيه . .

قاسم : هذه لغة السيم يا فهيم . . التمر يعنى البنادق والعجوة الذخيرة وسوق البلح هى القيادة فى مصراته .

معروف : يا خبر اسود . . دى عجوة قطران دى . . وحانشيلها فين العجوة دى ؟

قاسم : فى دار بن منصور بعيداً عن الساحل ورطوبة البحر (مغمغماً) خبطة عظيمة . . عشرة جمال محملة معناها خمسمائة بندقية بذخيرتها . . معناها خمسمائة فارس من الخيالة العرب . . معناها رأس حربة نضرب بها مؤخرة القوات التركية . . فكرة جهنمية .

معروف : غوما عفريت . .

يوسف قره مالى : الله انصر عربى غلبان .

معروف : دلوقت بتفتكرنا لما بقيت معانا فى الهوا سوا . .

قاسم : وفى الكرابيج سوا . .

يوسف قره مالى : حكمتك ربى . . لا اعتراض . .

قاسم : حكمته كبيرة الله شيخ يوسف . .

يوسف قره مالى : الله كبير منتقم جبّار . .

معروف : يأخذ بتار الغلابة اللى زيى واللى زيك . . آمين . .
الفاتحة على رأس الكافرين . . بسم الله الرحمن الرحيم

(يبدأ يتمم الفاتحة) .

قاسم : ايه انت ناوى توزع البنادق على الملايكة يحاربوا لك ؟

معروف : يا ريت يحاربوا بدالنا ويكفونا شرّ المدافع وشرّ الطوبجى
والباش طوبجى يا لطيف .

قاسم : وتنام وتفتح عينك تلاقى نفسك خليفة .

معروف : تمام خليفة آل عثمان وخاقان البرّين والبحرين معروف
ابن عون بن رحاب بن طوق بن وشاح بن سطيح بن
كلاب . . يا سلام . . يا حلاوة يا اولاد .

(عيناه تحلمان بعرش الخلافة) .

(قاسم يلوى أذنه بعنف) .

معروف : (يفيق فجأة) آى . . .

قاسم : إلى العمل نفر طوبجى . . لا وقت للأحلام . البنادق
والذخيرة يجب أن تصل إلى أصحابها ، إلى العمل .

(يظلم المسرح تدريجياً) . .

(المشهد الآن غروب . .

فى مقر القيادة فى مصراته .

مضارب خيام تبدو من بعيد فى الصحراء .

فى الخلفية نيران معركة وغبار وأصوات ومدافع وخيول تكر وتفر .

وفى المقدمة خيمة كبيرة تحتل نصف المسرح . . الخيمة مفروشة بالسجاد العربى والأكلمة وفيها حشايا للجلوس مصطفة حول موائد . . سقف الخيمة تتدلى منه قناديل عربية .

على بعد من الخيمة فى الصحراء يقف بعض الأسرى الأتراك فى السلاسل ونرى أكداساً من البنادق ومدفعاً مكسوراً ، إلى جانب هذه الغنائم أكياس الدقيق ، وصنوف من التموين غنمت هى الأخرى .

نرى عبد الجليل على حصانه قادماً من الخلفيّة وقد ربط إلى حصانه مدفعاً ثانياً غنمه .

غوما واقف بجوار الخيمة يرسم بعصاه خطوطاً على الرمال ، يحدّد بها تحركات الأجنحة المهاجمة ويشرح لهيئة قيادته هذه التحركات) .

قاسم : (يصفق لعبد الجليل) عفارم عبد الجليل .

فارس من القيادة : لقد نجح الالتفاف المفاجئ وفرت القوات التركية مذعورة تاركة مدافعها . .

غوما : (فى صوت منخفض) يجب ألاّ نتوقف عن الحركة . . إن الارتباك الكامل هو فرصتنا . . يجب أن نختفى لنظهر . . ونتفرق حتّى تبتلعنا الصحراء ثم نخرج فجأة

وكأننا الجن نتحدر من كل الجهات فى وقت واحد وكأننا موجودون فى كل مكان . . وكأننا مزروعون فى هذه الصحارى مثل الشوك لا قبل لأحد بانتزاعنا .

(عبد الجليل يصل إلى المقدمة ويترجل عن حصانه) .

عبد الجليل : القوات التركية قد أخلت المنطقة وفرت تماماً وتركت قتلاها .

غوما : فليذهب بعض الفرسان لإغاثة المحتضرين ونجدة الجرحى (يمضى بعض الفرسان إلى الخلفية) . فكّوا وثاق الأسرى وقدموا لهم الطعام . . أين معروف ؟

(عبد الجليل يفكّ وثاق الأسرى . . نرى معروف خارجًا من إحدى الخيام يحمل طعامًا) . .

غوما : لقد أثبت معروف أنه يستطيع أن يكون طباخاً ماهراً .

معروف : (يوزع الطعام على الأسرى) كل اطفح اتسمّم أفندم . . املأ كرشك أفندم .

غوما : المعاملة بالحسنى يا معروف .

معروف : (فى غيظ) طيب يا سيدى اطفح بالهنا والشفا .

معروف : (يوزع الطعام على الأسرى ثم يقودهم إلى مكان خلف الخيمة) اتفضلوا على المطعم الشعبى . . على تكية معروف أغا

(يختفون عن الأنظار خلف الخيمة) .

عبد الجليل : يجب أن تأخذ قسطاً من الراحة يا غوما . . أنت لم تنم طوال البارحة .

غوما : لا داعى للعجلة . . الموت سوف يعطينا كفايتنا من النوم وزيادة .

عبد الجليل : لقد أعطيت للجند نوبة راحة .

غوما : أفضل أن أسهر مع الحراس . . فى مثل هذه الليالى المقمرة يحلو لى أن أحلم بعينين مفتوحتين مع القمر . .

عبد الجليل : هذا شعر . .

غوما : وهل الفروسية إلاّ شعر . . إن الفارس إذا فقد قلب الشاعر لم يبق منه إلاّ الجزار والسفاح والقاتل . . ونحن لسنا قتلة يا عبد الجليل نحن عشاق أحببنا بلادنا لدرجة الموت .

(يرى قاسم مقبلاً من الخلفية) .

قاسم : (مقبلاً) ما أكثر الجرحى . . إن النخيل سوف يرتوى دما هذه الليلة .

عبد الجليل : سوف تكون ضربة الانتقام رهيبة وربما جاءتنا على غرة .

قاسم : ما كان يجب أن نترك الفلول المنسحبة تهرب دون أن نجهز عليها .

غوما : نحن فى حاجة إلى فرصة لالتقاط الأنفاس .

قاسم : سوف يستفيدون هم من هذه الفرصة أكثر منا .

غوما : إن قواتنا المرابطة فى طريق طرابلس لن تمنحهم هذه الفرصة . . إن الخطة هى أن نستبدل بالحرب الواحدة عدة حروب فى عدة أماكن فى وقت واحد ، وعدة ضربات فى وقت واحد ، فيخيل لأعدائنا أن لدينا من الجنود بعدد ما لدينا من حبات الرمال .

عبد الجليل : ستكون حربًا طويلة .

غوما : إن عندنا عمق الصحراء بكل ما فيها من مدد بشرى وإمكانيات للضرب والاختفاء وإذا شددنا عليهم النكير فلن يبقى لهم إلا شريط رفيع على الساحل .

عبد الجليل : وسوف يكلفهم الاحتفاظ بهذا الساحل الكثير .

(صوت أقدام . . أحد الحراس يأتى جرياً من الخلفية) . .

الحارس : رسول من الوالى يرفع الراية البيضاء ويطلب مقابلة غوما للمفاوضة .

غوما : أدخله . .

قاسم : (فى عنف) نحن لا نقبل مفاوضة . . لا تدخل أحداً . .

غوما : (فى حدّة) قاسم . . .

قاسم : ليس لدينا ما نقوله للأتراك سوى الحرب حتى آخر جندى .

غوما : نحن نحارب الإمبراطورية العثمانية ، والسلاح وحده لا يجدى . . لابدّ من السياسة .

قاسم : هذا تسليم . .

غوما : نحن لا نحارب للحرب وإنما لنا مطالب . وأى فرصة للحوار يمكن أن تكون مكسباً .

قاسم : نحن منتصرون فلماذا نمدّ يدنا إلى مفاوضة . ؟

غوما : إذا حققنا مكسباً على مائدة المفاوضة فلن يكون انتصارنا قد ذهب هباء .

قاسم : هذه خدعة .

غوما : لسنا وحوشاً فى غابة لا نملك ما نتخاطب به سوى المخلب والناب ، هذه بربريّة وليست عسكرية .

عبدالجليل : غوما على حق . . يجب أن نستمع ولا نصادر أى فرصة للتفاهم .

قاسم : هذه خيانة للمبدأ .

غوما : أيّ مبدأ . . ليس مبدأنا أن نقتل . . لسنا قطاع طرق . . نحن ثوّار .

قاسم : إنه استدراج لوثبة غادرة فيما بعد . . أنا أعرف . . هذه طباعهم .

غوما : لن نخسر شيئًا (يربت على كتفه) لا تدع الحماس يجرفك . . إن الحروب لا تكسب بالأذرع وحدها ولكن بالحكمة والخبرة . . إنك أصغر سنًّا مما يجب . . سوف تتعلَّم الكثير . . تعال (للحارس) أدع الرسول (متجهًا إلى الخيمة) وادع ضباط قيادتنا أيضًا . . ومشايخ القبائل الذين يحاربون معنا .

(يدخل الخيمة ومن ورائه قاسم وعبد الجليل . . ومن بعدهما تأتى بقية الفرسان وعدد من مشايخ القبائل . . ثم يدخل الحارس ومعه مندوب الوالى أحمد قورجى فى وفد من الأتراك) .

أحمد قورجى : سلام عرب أكارم سلام . .

أصوات : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

أحمد قورجى : الوالى يبلغكم تحيات مباركات ويمد يده إلى إخوان عرب ويعطيكم كلمة أمان ويقول لكم لابدّ من توقيف حروب . . عربى مسلم يحارب تركى مسلم

يوك . . إسلام يحضّ على السلام ، عربى تركى يد واحدة فى حرب على الكفار أفندم . . مش تحارب بعض .

غوما : الوالى محمد رئيف باشا رفع الضرائب وطرد الموظفين العرب من ديوان الحكومة . . وأعمل التقتيل فى الأبرياء بحجّة أنهم ضالعون مع الثورة . . هل هذه تعاليم إسلام ؟ سيد قورجى لا جدوى من التفاوض مع الوالى .

أحمد قورجى : (يضحك) الوالى محمد رئيف والى يوك . . سلطان أصدر فرمان يعزل والى . . سلطان الله نشكر صديق كبير للعرب ويعزل نجيب باشا لإرضاء عرب يعزل محمد رئيف باشا لإرضاء عرب . . سلطان يحب عرب كثير . . الوالى الجديد صديق مخلص كثير لعرب . . طاهر باشا والى جديد . . اختيار سديد . . الله يوفق .

(تدور القهوة العربية يحمل إبريقها معروف . . يقدم معروف القهوة إلى قورجى وإلى الأتراك فى شماتة) .

أحمد قورجى : (يرشف القهوة محدثاً غوما) أول أمر لوالى جديد صلح على غوما شيخ المحاميد . . شيخ عربان وفارس

الفرسان . . الاستماع إلى شكايات غوما ، مطالب غوما ، شروط عرب أكارم إخوان عشان توقيف قتال وحقن دماء .

غوما : شروطنا هى تخفيض الضرائب وإدخال العرب فى وظائف الدولة وقيادات الجيش وإلغاء امتيازات الأتراك وإعفاءات الأتراك والإفراج عن المسجونين والمساواة أمام القانون بين الأتراك والعرب .

أحد المشايخ : نحن لا نريد إلاّ تطبيق الإسلام . . العدالة والمساواة . . لا فضل لتركىٍّ على عربى إلاّ بالتقوى .

أحمد قورجى : كلام معقول أفندم . . كلام نافذ أفندم . . وهذا مرسوم حضرة والى (يفتح لفافة المرسوم الذى يحمله) بتخفيض ضرائب وإلغاء ضريبة الأشجار وإعادة الموظفين العرب المطرودين إلى دواوين حكومة . . وتعيين غوما مديراً على منطقة الغريان وتسليم الأسرى العرب والإفراج عن مساجين عرب .

أصوات المشايخ : عظيم . . عظيم . .

أحمد قورجى : بشرط إفراج عن أسرى أتراك فى حيازتكم وإعادة السلاح والذخيرة والمدافع وكافة الغنائم من

سلع التموين وأدوات الحرب إلى حضرة والى . .

(لحظة صمت . . هناك شكوك فى الجو . . المشايخ يميلون على بعضهم يتهامسون) .

أحمد قورجي : لابدّ من معاملة بالمثل أفندم ، نحن نعطى كلمة أمان . . عرب يعطى أمان . . مفهوم أفندم .

أصوات : معه حق . .

– نوافق . .

– لا نوافق . .

– هذه خدعة . .

– لا نرد السلاح . .

– نرد السلاح . .

– لن نخسر شيئًا . .

– الأتراك لا عهد لهم . .

– الأتراك غدّارون . .

– لا نستطيع أن نرفض يدًا ممدودة بالسلام .

الأصوات تختلط : لا حلّ سوى الحرب حتّى يخرج آخر جندى تركى .

– هذه شروط معقولة .

– ليس من الصالح أن ينقسم المسلمون .

– أنا أقبل . .

– أنا أرفض . .

– هذا استسلام . .

– الرأى لغوما . .

– لنسمع ما يقوله غوما . .

غوما : (فى هدوء) أنا أقبل الاتفاق .

قاسم : (صارخاً) غوما . .

غوما : إن العرض عرض شريف وبداية طيبة للتفاهم .

قاسم : ولكن هذه محض وعود . .

غوما : لابد أن نبدأ بالنوايا الحسنة . . ولا نفترض سوء الطوية بلا بينة . .

أصوات : الرأى ما يرى غوما . .

– الرأى ما يرى غوما . .

(وشوشات غير واضحة . . البعض غير مستريح . .)

غوما : نحن لا نحارب لنقتل ولكنا نحارب لإحقاق العدل والمساواة ولنرى العهد الذى لا تفرقة فيه بين عربى

وتركى ، وعلينا أن نرحب بأى خطوة تؤدى بنا إلى هذا الهدف .

كثرة من الأصوات : معقول .

غوما : ما رأيكم . .

كثرة من الأصوات : نوافق .

أحمد قورجى : مبروك . . مبروك . : نشرب شربات . . ونوقع اتفاقات . .

(يبسط المرسوم ويعطى القلم لغوما) مبروك غوما .

منصب عظيم لسيادتكم . . مدير كبير لمنطقة غريان تعظيات سلام لحضرتكم .

(تتعاقب توقيعات الضباط والمشايخ . . ويدور معروف بالشربات . . صوت زغاريد فى الخارج . . أصوات بنادق تطلق فى الهواء ابتهاجاً) .

أحمد قورجى : **(فى سعادة)** ابتهاجات ، أفراح ، أعياد . . نخرج نشارك البدو فى الفرح بالسلام . .

(ظلام الصحراء خارج الخيمة تضيئه شعلات يحملها البدو الذين أقبلوا على أخبار الهدنة والصلح وتوقيف الحرب بين العرب والأتراك . . الخيمة تظلم الآن وقد خرج الكل إلى الصحراء) .

(وفى الخارج على ضوء المشاعل رقص عربان وزغاريد وطبل ورقص

خيل وضرب بنادق فى الهواء وأحمد قورجى يرقص . . صوت الرصاص لا ينقطع) . .

(فجأة يضع قورجى يده على صدره) صارخاً : أى . . صدرى . . صدرى . . عربى غدار **(يسقط قورجى على الأرض يتلوى)** . . عربى خاين مالوش أمان . . أمان ربى . .

(يموت . .)

(ستار)

الفصل الثانى

(طريق فى مدينة طرابلس . . ليل . . الفوانيس تضىء الطريق . . بعض الباعة يفترشون الأرض ببضائعهم ويعرضون صنوفاً من الغزل والسجاجيد والأكلمة والمسابح والعطور والمكاحل . . إسكافى يرقع الأحذية . . حداد يصنع حداوى الخيول . . بائع فخار يبيع قللاً وأباريق وأوانى فخارية) .

(نرى بدوياً على ظهره مخلاة يقطع الطريق وهو يغنى بصوت حزين . . يتحلق الناس حوله) :

لى زمان يا خال وأنا باطوى البوادى طىّ

الجلب عطشان وعطش الجلب ماله رىّ

أسود ضلام الليل يا خال ما فيه رنحة ضىّ

هيّن ضلام الليل يا خال لكن ضلام الجلوب

ضلام ما بعده شئ ..

آى ... ندمان يا جلى ..

(نسمع وقع أحذية جنود .. ثم تظهر ثلة من الجند من سنجق الوالى يهاجمون الأهالى بالكرابيج).

أصوات جنود : ما يتفهم تعليمات والى .. ممنوع تجمعات فى الطرقات .. ممنوع تظاهرات .

الحداد : إحنا واقفين فى حالنا .. إحنا عملنا حاجة ؟ .

جندى : حداد مجرم رئيس عصابات ..

جندى آخر : بتصنع سيوف .. بتعمل سلاح ضدّ والى .. مجرم .

الحداد : أنا باعمل حداوى خيل .. سلاح إيه وسيوف إيه ؟

الجندى : كذاب رئيس عصابات بتصنع سيوف ..

(معركة بين الحداد والجنود ، الجنود يعتقلون الحداد واثنين من الشباب فى دكانه .. الجنود يمسكون بتلابيب عجوز يمشى الهوينا فى الطريق) ..

العجوز : (فى فزع) الله .. الله .. لا حول ولا قوّة إلاّ بالله .. إيه ، فيه إيه ؟ .

جندى : عربى غدّار .

العجوز : أنا راجل عاجز على باب الله .

الجندى : عربى خاين . .

العجوز : أنا رجل دين .

(اثنان من الشبان ينتزعان العجوز من يد الجنود) .

أصوات : يا ظالمين يا كفار . .

– تضربون أعمى ضريرًا . .

– قتلة . .

– آى . .

– عربى مجرم .

– على كل جبار يا رب . .

– عصابات قطاع طرقات .

– لابد من تأديب . .

– على السجن . .

(يعتقلون الشابين الاثنين بينما يفر الباقون . . يمضى الجنود يجرجرون المعتقلين ولا يبقى على المسرح إلا الشيخ الضرير مكوما على الأرض . نسمع صوت البدوى يغنى من بعيد) :

لا تبك ع اللى راح يا خال دوّر على اللى جاى

لا تنوح على اللى مات يا خال اشفق على اللى حىّ

ده الكل فانى ولا يبقى سواه الحىّ

أى . . ندمان . . يا جلى

(نرى أحد البراميل الملقاة على الطريق يهتز ثم يخرج منه معروف حيث كان مختبئاً .. يخرج رأسه فى البداية ويتلفت ثم يخرج جسده .. ثم يقفز إلى الطريق فى خفة القط).

معروف : يا ساتر يا رب .. أعوذ بالله (فى إشفاق) شيخ منصور .. مالك ؟

(يذهب إلى الشيخ الضرير ويرفعه من مكانه ويقوده إلى دكان الإسكافى).

معروف : تعال يا شيخ منصور .. الله يجازى الكفرة.

(يملأ كوز ماء من الزير ويسقيه)

معروف : منهم لله ..

الشيخ : أهذا يرضيك يا رب أن يهان رجال الدين .. ؟

معروف : لكل شىء نهاية .. الصبر طيب ..

الشيخ : لابدّ من كتابة شكوى إلى السلطان ..

معروف : وهو فين السلطان ده بيننا وبينه بحور ؟.

الشيخ : إذن نكتب لولى الأمر .. نكتب للوالى نجيب باشا.

معروف : صحّ النوم يا شيخ منصور .. نجيب باشا اتشلح من زمان وأصبح فى خبر كان .. السلطان أصدر فرماناً بعزل نجيب باشا وتولية رئيف باشا ، وبعدين فرماناً

بعزل رئيف باشا وتولية طاهر باشا . وبعدين فرمانا
بعزل طاهر باشا وتولية حسن الجشمة للى ، وبعدين
فرمانا بعزل حسن الجشمه للى وتولية عشقر . . ونحن
الآن فى عهد عشقر . . الظلم اليوم اسمه عشقر . .
وعشقر فى القلعة يسكر ، ويتعاطى المنكر . . نحب
نكتب عريضة إلى عشقر فشقر جالس يسكر فى
مدغشقر . .

الشيخ : (يضحك) دمك خفيف يا معروف . . أضحكتنى
يا شيخ . .

معروف : شر البلية ما يضحك . .

الشيخ : والله البلد فى بلاء عظيم وما العمل ؟

– ليس العمل أن نكتب شكاوى يا شيخ . . العمل أن
نحارب . .

– وضرير مثلى كيف يحارب ؟

– تخرج من عزلتك يا شيخ . . أنت رجل دين لك
مكانتك فى القلوب . . وعزلتك بعيداً فى تونس تؤلف
وتكتب التفاسير والشروح الدينية لا جدوى منها
أنت تدخل فى كل بيت وكلمتك مسموعة وتستطيع أن

تجعل من كل بيت خلية ثورية وثكنة عسكرية .

(صوت رصاص وطلقات بنادق يدخل معروف ومعه الشيخ منصور فى دكان الإسكافى ثم يختفيان فى سرداب . صوت الطلقات يقترب ومعها أقدام مهرولة . . نرى عربياً يحمل بندقية ويطلق النار خلفه ثم أصوات أرجل تطارده ومعها صيحات تقترب . العربى يدخل دكان الإسكافى ويختفى فى نفس السرداب . يظهر على رأس الطريق جنود ترك يحملون البنادق . ما زال الدخان يخرج من فوهات البنادق . . الجنود الترك يتلفتون)

— عربى شيطان . .

(أصوات طلقات رصاص فى جهة أخرى . ينطلق الجنود الترك مهرولين نحوها ويختفون من المسرح . تمضى لحظات ثم يخرج الثلاثة رؤوسهم معروف والشيخ والمجاهد العربى ثم يقفون فى حذر إلى جوار الباب)

المجاهد العربى : الثورة فى كل مكان . . الرصاص ينطلق من بيت لبيت . سبعون شيخاً شنقوا فى الميدان الكبير .

الشيخ : لا حول ولا قوة إلاّ بالله .

المجاهد العربى : وعبد الجليل قبض عليه وقتل .

معروف : لا إله إلاّ الله . خسارة لا تعوض .

المجاهد العربى : الوالى التركى فى حالة جنون بسبب ما فعله غوما فى معركة الهيرة . . غنائم وأسرى وقتلى أتراك بالمئات . .

الوالى يشعر أنه مهدد بالعزل . .

معروف : زمان السلطان بيكتب الفرمان .

(أصوات طلقات . . يختفى الثلاثة الطلقات مستمرة) .

(يظلم المسرح تدريجياً) . .

(قصر الوالى عشقر فى القلعة . . ليل . . بهو على الطراز العربى بسجاجيد عجمية . . أثاث فاخر . ثريات تتلألأ . . تماثيل . . تحف . . حراس على الأبواب شاكو السلاح . . عشقر . . يداه خلف ظهره يروح ويجىء فى عصبية كأسد حبيس فى قفصه ويبرطم بين حين وآخر)

عشقر : (يبرطم) غوما . . (يروح ويجىء ثم يبرطم) غوما . . (يروح ويجىء) غوما . . (يروح ويجىء ثم يصرخ فجأة) :

– فريق أركان بكر بك . . يحضر حالاً . .

(ينطلق الحارس . . ثم تمضى لحظة ويدخل بكر بك فى خطوة عسكرية . . ينقض الوالى عشقر عليه ويمسكه من كتفيه ويصرخ فى ثورة) :

عشقر : أنا قلت لازم جيب رأس غوما . . لازم جيب رأس غوما حضرة فريق بكر بك . .

بكربك : ممكن جيب رأس غوما . . لكن مش بالحرب حضرة والى . . كل الشعب مع غوما . . الجيش مش ممكن حارب فى كل بيت . . لازم نشوف طريقة ثانى .

عشقر : إزاى فريق بكر بك . . نعمل حجاب فريق بكر بك ؟

بكربك : لا حضرة والى – فيه فرصة ذهبية حضرة والى . . فيه خلاف فى قيادة الثورة بين قاسم وغوما . . خلاف شديد على السلطة .

(عشقر يزوم فى فرحة خبيثة) .

بكربك : أثناء مفاوضات مع أحمد قورجى غوما إمسك منصب مدير . . قاسم محمودى اتجن إزاى غوما إمسك منصب مدير وهو يوك . . قاسم إضرب قورجى بالرصاص عشان فشكل مفاوضات . .

عشقر : قاسم هو اللى إضرب قورجى بك بالرصاص **(يزوم فى خبث ويفكر ثم يرد فى ذكاء)** فى داهية قورجى . . قاسم يأخذ منصب كبير فريق بكر بك . . قاسم يبقى نائب والى . . مفاوضات مع قاسم فارس فرسان وشيخ عربان إحنا نوسع خلافات ونوقع فتنات . . نضرب رأس قاسم محمودى برأس غوما محمودى نخلص من عيلة محمودى ومن قبيلة محاميد ومن العرب كلهم . . عفارم بكر بك . . عفارم .

بكربك : نبعث رسل عرب ثقات إلى قاسم . . نعطى كلمة

أمان . . ودعوة لمقابلة حضرة والى فى السراى عشان مفاوضات واتفاقات وإنعامات .

عشقر : خطة تمام بكر بك ، خطة تمام . . تنفيذ حالا . .

(بكر بك يؤدى التحية العسكرية وينصرف . . الوالى يروح ويجىء فى عصبية وهو يغمغم مبتسماً بين وقت وآخر) . . غوما . . غوما . .

فجأة يصفق : والآن تسليات ورقصات . . وإصلاح مزاجات

يصيح : سعادات هانم . .

(يختفى الحارس لحظة . . ثم يدخل تخت شرق وفرقة راقصات ومغنيات على رأسها سعادات هانم . . توضع مائدة شراب . . يبدأ عشقر فى غناء توشيح تركى بصوته القبيح ويتمايل مع النبرات . . سعادات تشرع فى الغناء معه . . يبدأ فى الرقص مع فتيات الفرقة الصغيرات الجميلات . . قبلات وضحكات وقرص وغمز ولمز . . ما زال الوالى يغنى . . يجلس إلى مائدة الشراب . . يشترك التخت والكورس فى التوشيح . . لحظات حظ وفرفشة) .

عشقر : **(وهو يرفع الكأس يغمغم فى شرود وكأنه يتخيل شبحاً بداخل الكأس)** — لازم جيب رأس غوما .

سعادات هانم : **(فى دهشة)** غوما . .

عشقر : أى نعم . غوما . .

(ينفجر ضاحكاً غير عابئ بدهشة سعادات ويعود إلى الغناء بصوته

القبيح وإلى التمايل مع النغم . . يرتفع صوت الكورس وترن الصاجات فى أيدى الراقصات) .

يظلم المسرح تدريجياً . .

(فى الجبل . . نهار . . معسكر قوات غوما . . يسمع صوت طلقات رصاص من بعيد . . قاسم وغوما وجهاً لوجه وحدهما . . غوما يذرع المكان فى حركة سريعة مضطربة ثم يتوقف لينفجر فى ثورة)

غوما : إذن فأنت التقيت بالوالى . .

قاسم : (فى برود) نعم . .

غوما : نعم . . وماذا بعد ؟!

قاسم : (بنفس البرود) كان لقاء ومفاوضات .

غوما : كان لقاء ومفاوضات ؟!

قاسم : أنت لست ضدّ مبدأ المفاوضات على ما أعلم وقد سبق أن وقّعت معاهدة مع نائب الوالى بالتنازل عن الثورة فى سبيل وظيفة مدير منطقة الجبل .

غوما : (يصرخ) أنا لم أتنازل عن الثورة ، ولم أقبل المعاهدة إلاّ لعلمى أنها ستكون وسيلة للاستمرار فى الثورة .

قاسم : استمرار فى الثورة كيف ؟

غوما : كان شرطاً فى المعاهدة أن يدخل العرب ضباطاً فى الجيش التركى مساواة بالأتراك فى الرتب والنياشين .

قاسم : (ساخراً) وهذا هو منتهى الثورة فيما يبدو .

غوما : لا وسيلة إلى هدم البناء إلاّ بالتسلّل إلى داخله .

قاسم : وإذا لم يهدمه هؤلاء الذين تسللوا إلى داخله . . إذا أصبحوا تركا بدلاً من أن يجعلوا الترك عرباً ؟ .

غوما : لن يكون هذا ذنبي .

قاسم : من الطبيعي أن يكون هذا تفكير رجل يعمل ابنه ضابطاً فى الجيش التركى فى إسطنبول .

غوما : (يصرخ) إن ابنى ضابط فى الجيش التركى ولكن ابنى الآخر فى جيش الثوار (يصرخ) وقد قتل البارحة فى معركة الغريان . . قتل .

قاسم : قتل فى جبهة الثوار وابنك الآخر يحارب فى جبهة القتلة مع السفاحين . . إنى لا أفهمك . . أنت بدوى مجنون .

غوما : ربما كنت مجنوناً . . ولكن الظروف التى نحارب فيها هى الجنون بعينه . . إننا بدو حفاة نحارب إمبراطورية . . ولا يمكن أن ننتصر بدون الحيلة والسياسة . . يد تصافح ويد تطعن فى الظهر .

قاسم : ما يثيرنى أنى أراك وأنت تصافح فأشعر أنك تصافح

بكل شهامة البدوى وبساطته وحماقته . . بلا خدعة . . أنت لم تكن تخدع أحمد قورجى حينما وقعت المعاهدة ، أنت كنت تخدع نفسك يا غوما . . كان طمعك فى الوظيفة يزين لك هذه المثاليات الكاذبة . .

غوما : ظلمت ولأنى يا قاسم . .

قاسم : إذن فأنا لا أفهمك . . لا أفهمك . . أحياناً يخيل إلى أن ما تطمع فيه هو ركن هادئ تحت شجرة تقرض الشعر وتتأمل القمر وأنك تحارب لتلتمس هذه اللحظات من السلام . . ولهذا ترحب بهدنة أى هدنة . . وصلح أى صلح لأنك لست محارباً . . ولم تكن محارباً أبداً . . وإنما أنت رجل حالم . . ولكنى أراك حينما يستعر القتال فلا أصدق عينى .

غوما : ولا أنا .

قاسم : وكأنما تصبح رجلاً آخر (فى حيرة) ولكن إذا كنت هذا الوحش الضارى فلماذا تمدّ يدك إلى أعدائك ؟..

غوما : إنى لا أختصم مع أشخاص ، ولو كانت طرابلس العربية يحكمها عربى ظالم لثرت عليه بمثل ما أثور على التركى . . إنما الظلم هو ما أثور عليه وليس الحاكم . .

فإذا امتدت يد بعدالة فأنا دائماً أول من يصافحها
لا يهم من أى جنسية هذه اليد . .

قاسم : (حائراً) ولكن العالم ما زال ينقسم إلى جنسيات
وعصبيات . . لم يأت الوقت بعد لتتصافح بكل هذه
النية الحسنة . . إنها لسذاجة (فى ارتياب) أو ربما خبث
منتهى الخبث من رجل وصولى يعرف كيف يغلف
أغراضه بمهارة .

غوما : الله يعلم الحقيقة وهذا يكفينى . .

قاسم : حسناً . .

غوما : علام عولت ؟.

قاسم : سوف أطبق مذهبك . .

غوما : مذهبى ؟!

قاسم : سوف أنضم إلى الجيش التركى . .

غوما : (ينتفض) تنضم إلى الجيش التركى . . كيف ؟!

قاسم : سوف أكون نائباً للوالى . .

غوما : مستحيل . .

قاسم : ولماذا مستحيل ؟ .

غوما : هذه خيانة . .

قاسم : إن ابنك الضابط فى إسطنبول ليس خائنًا . . وأنت لم تكن خائناً حينما قبلت وظيفة مدير منطقة الجبل فى الديوان التركى .

غوما : كان هذا بشروط . .

قاسم : أنا أيضاً سوف تكون لى نفس الشروط . . سوف أدخل إلى الإمبراطورية وأقوضها من الداخل . . سوف أكون عوناً لكم جميعاً . . سوف أعجل بالنهاية . .

غوما : ولكنها هى قد تقوضك أنت . . قد تعجل بنهايتك .؟

قاسم : ولماذا لم تسأل نفسك هذا السؤال ؟

غوما : لأنى أعلم أنى أقوى من الإمبراطورية العثمانية . . وأعلم أنك أضعف من أضعف جنودى بكثير .

قاسم : ألم أقل إنك رجل مجنون يا غوما .

غوما : مجنون . . نعم . . ولكنك تعلم أنى على صواب . .

(صوت الرصاص يرتفع . . صوت طلقات مدافع من بعيد) .

غوما : (فى حزن) إنهم يقتربون . . (ينظر إلى قاسم) لا أصدق أننا سوف نحارب تحت رايتين مختلفتين .

قاسم : بل هى راية واحدة . . راية العرب وحدها . . لماذا

لا تثق فيّ ؟

غوما : بل أخشى عليك . . أخشى عليك من نفسك .

قاسم : ألم تقل إننا عرب حفاة نحارب إمبراطورية . . وإننا لن ننتصر إلاّ بالحيلة . . باليد التّى تصافح وتطعن فى الظهر . . سوف أكون أنا اليد التّى تصافح وتطعن فى الظهر .

غوما : (فى صوت شارد يكلم نفسه) . . تصافح من وتطعن من ؟ . . هذا هو السؤال ! !

(طلقات المدافع تقترب) .

غوما : (ما زال شاردًا) إنهم يقتربون . .

قاسم : وداعاً يا غوما . .

غوما : (فى حزن) وداعاً . .

(صوت المدافع يقصف ويصم الآذان . . يظلم المسرح تدريجيًا) .

(ديوان حكومة . . نهار . . غرفة واسعة مفروشةبالطنافس . . مكتب نائب الوالى حيث يجلس قاسم مع اللواء التركى . . جلود غزلان ووحوش وقرون وبنادق منقوشة بالفضة معلقة على الحائط) .

اللواء التركى : (يتمشى فى عصبية) . . معركة أخرى خاسرة فى وادى العجيلات وزواره . . عشرات من الجرحى والقتلى .

لابدّ من عمل سريع . . لابدّ من تجهيز حملة إلى الجبل مزودة بالمدافع والفرسان للقضاء على غوما . . السلطان فى الآستانة ثائر جداً .

قاسم : غوما لا يمكن القضاء عليه بالمدافع (بعد لحظات صمت) هناك وسائل أخرى للقضاء على غوما .

اللواء : وسائل أخرى ؟

قاسم : اسمح لى بدعوة الدفتردار لحضور الاجتماع .

اللواء : اتفضل أفندم . .

(قاسم يرن جرساً أمامه فيدخل حاجب) .

قاسم : الدفتردار حالاً . .

قاسم : (يلتفت إلى اللواء التركى) لابدّ من إصلاحات فى الجهاز الإدارى . . لابدّ من نظام محكم . . لابدّ من ضبط وربط .

(يدخل الدفتردار) .

اللواء التركى : (يرد على قاسم) هناك إصلاحات عظيمة تمت على يدنا أفندم . . ترميم قلاع . . بناء أبراج . . إنشاء قصر للحكومة فى الدواخل وقصر آخر للحكومة فى أبو نجيم . . وهناك مشروع بناء حى المجيدية .

قاسم : (فى هدوء) أنا أقصد إصلاحات فى الجهاز الإدارى . . فى الضبط والربط . . دفتردار عنده مشروع عظيم . . اتفضل عزمى بك .

دفتردار : أنا قدمت مشروع بإنشاء نظام تذاكر وهويات وجوازات وأرشيف خاصّ لإدراج المواليد والوفيات وبيانات بكل السكان .

اللواء التركى : (فى دهشة) ده وقت حملات وتجهيزات أفندم . . مش وقت بيانات وهويات وإدراج مواليد ووفيات .

قاسم : البيانات والهويات معناها تسهيل تفتيش واعتقالات ومراقبات . . ومعناها كلّ سكان طرابلس داخل دوسيه تحت يد شرطة والى .

دفتردار : وهى أيضاً مصادر دخل وضرائب غير منظورة أفندم .

(لحظة صمت وتفكير يعود اللواء التركى فيفجر) :

اللواء : غوما على بعد ١٥ كيلومتر من العاصمة . . حضرة والى أمر باعتقال محمد الشلابى زعيم طرابلس ونفيه واعتقالات . . اعتقالات . . ما فائدة اعتقالات ؟

قاسم : اعتقال زعيم خطأ كبير حضرة لواء . . أحسن طريقة لمقاومة زعيم هو منحه وسام وترقية .

اللواء التركى : (يضحك فى عصبية) وتعيينه بفرمان حاكم على طرابلس (يضحك) أنت تضحك أفندم .

قاسم : أنا لا أضحك حضرة لواء . . القضاء على غوما لا يكون بمحاربته ولكن بمنحه إنعامات ورتب ونيشانات ومنصب كبير . أرخص طريقة للقضاء على الثوار تحويلهم إلى موظفين .

اللواء التركى : إنت تضحك أفندم . . معلوم إنت تضحك . . غوما حاكم طرابلس . . غوما باش قوبجى . . غوما إذبحنا جميعاً . .

قاسم : (يمسك بوسادة ريش النعام التى يجلس عليها ويضعها على خده) ريش النعام أفندم [illegible] على الثوار . . وصفة مجربة أفندم .

(يضحك الكل ضحكة ذات مغزى) .

اللواء : لكن غوما يرفض أفندم

قاسم : غوما يقبل حضرة لواء (ضاحكاً) ليهدم الإمبراطورية العثمانية ويذبحكم جميعاً (يضحك الثلاثة نفس الضحكة الصفراوية) .

اللواء : تفكير غريب حضرة قاسم (يتدارك بعد لحظة) لكن غوما

له شروط كثيرات .

قاسم : جميع شروط إقبل . . إمضاءات . . بصمات . . أكتب ، وقع ، أبصم . . ورق كثير فى الإمبراطورية العثمانية ، مفيش أزمة ورق (يضحك) .

اللواء : (فى حيرة) وبعدين أفندم . . مش إفهم . . غوما يأخذ إنعامات . . غوما يأخذ علاوات وترقيات . . غوما يجلس مع الحكام . . وبعدين أفندم .

قاسم : غوما يفقد عطف مواطنين فقراء . . تصور أفندم غوما يأخذ مرتبات ومستحقات وجرايات يدفعها الشعب من قوته . . موسم جفاف وكساد وقحط ، والعربى لا يملك بارة يدفعها وجيب غوما منتفخ بمرتبات حضرة والى . . غوما يفقد عطف الشعب .

اللواء : (فى تفكير) مفهوم . . بعدين إعتقل غوما . . مفيش حدّ يسأل عن غوما . . فى داهية غوما . .

قاسم : (فى سخرية) زى كل موظفين حضرة لواء . . زى حضرتكم . . زى حضرة والى . . فرمان سلطانى شلوت للوالى عشقر ، راح عشقر . . جه محمد أمين باشا ، تعظيم سلام لمحمد أمين باشا .

اللواء : وبعدين شلوت (يضحك).

قاسم : زى كل موظفين حضرة لواء . . طرد تحقيق . . واعتقال . . ونفى ، دون إبداء أسباب ، لا أحد يهتم بشئون موظفين . . لا أحد يدافع عن حضرات موظفين نهّابين خطّافين . . لا أحد يحب موظفين . . لا أحد يحبّ حكومة .

اللواء : إنت على حق قاسم . . خطة غريبة . . عفارم (يقف متأهباً للانصراف) نبلغ سيادة محمد أمين باشا ونقوم بإجراءات .

(يقوم معه الدفتردار) . .

اللواء التركى : (للدفتردار) ونقوم بإجراءات هويات وتذاكر مرور أيضاً .

(يخرج الاثنان . . قاسم وحده يقوم من على مكتبه . . يقف أمام جلد وحش معلق على الحائط) .

قاسم : نشرب من نفس الكأس يا غوما . . لا أحد أفضل من الآخر . . إنما بالامتحان تختبر معادن الرجال ، ألست أقوى من الإمبراطورية العثمانية . . أقوى لأنك غوما ؟ أم لأن الشعب معك ؟ هذا هو السؤال ؟

(يظلم المسرح تدريجياً) . .

(زقاق فى طرابلس . . ليل . . حانوت مضىء به بندق ولوز وجوز وزبيب وتين ولفافات قمر الدين صف من فوانيس رمضان على إفريز الدكان . . العجوز يوسف قره مالى جالس على العتبة ومعروف بجواره وصاحب الدكان مشغول بصفَ بضاعته . . أطفال يدخلون المسرح بفوانيسهم مهللين منشدين) :

وحوى يا وحوى إياحه .

وكمان وحوى إياحه .

يا الله يا رمضان إياحه .

البدر أهو بان إياحَه .

(صوت دورية تركية . . يدخل الجنود الترك فيتفرق الأطفال وهم يلوحون بفوانيسهم وراء الجنود ويتصايحون . . هيه . . بعد أن تختفى الدورية يقوم معروف يتنطط ويأخذ فانوساً يلوح به وينشد للأطفال وهم يردون عليه) :

ولولا غوما ما جينا . . يا الله الغفار .

ولا تعبنا رجلينا . . يحيا الثوار . (ويتنطط ويخرج لسانه فى الناحية التى اختفت فيها الدورية) .

زعق السلطان . . إياحه

أبو طقم ستان . . إياحه

وبعت فرمان . . إياحه

(بصوت منخفض) :

يسقط سلطان . . إياحه

(يتنطط) :

حَلّو يا حَلّو

رمضان كريم يا حَلّوا

حبايبنا جم وطَلّو

(يميل على العجوز يوسف القره ماللى فيجده نائماً)

. . إيه إنت نمت يا قره مالل (يتنطط)

قره مالل نام يا حَلّو

قرايبو سابوه وفَلّو

يوسف قره مالل : عربى مجذوب . .

معروف : مجذوب مجذوب بس أعيش . .

يوسف قره مالل : ده بدال ما تشيل سلاح وتروح تحارب فى ميدان .

معروف : أنا بحارب باللسان . . التخصص بتاعى .

يوسف قره مالل : (يضحك) إحنا بنسمع عن لواء مشاة ، لواء

فرسان ، لواء مدفعية . عمرنا ما سمعنا عن لواء لبنان . .

معروف : ده جهاز الإعلام يا قرهماللى ، حاجة ما تعرفهاش فى جيشكم الخيبان .

يوسف قره مالى : (ساخرًا) جميع حروب غوما أصبحت الآن حروب إعلام . . غوما دخل فى سلك حكام وأصبح يصدر بيانات . . بيانات . . بيانات . غوما باش قوبجى الديوان . . غوما يوك .

صاحب الدكان : (يتكلم لأول مرة) غوما عرف أن الله حق . . وأن لا جدوى من التناطح مع جبل مثل الخلافة العثمانية ولا من المصلحة أن ينشق الإسلام على نفسه ، بدلا من أن نحارب بعضنا نتّحد يا ناس فيها إيه ؟. وماذا فعل لنا الأتراك إلاّ كل خير؟.. بنوا المساجد والمستشفيات والمدارس ونظموا الأوقاف والخيرات وأسسوا المتصرفيات .

يوسف قره مالى : ووزعوا الرشاوى على لسانات خائنات أمثالك . . أنا أعرف الصرة التى تدور الآن على الدكاكين فى السرّ .

صاحب الدكان : أنا أقول نصيحة وأجرى على الله .

يوسف قره ماللى : أجرك على عثمان أغا . . خرسيس خنيس . . ما رأيك معروف . . قول حقيقات .

معروف : أنا مع غوما مهما عمل .

يوسف قره ماللى : ممنوع مجاملات . .

معروف : غوما عنده أسباب لا نعرفها . . غوما عنده خطّة . . أنا أثق فيه ثقة عمياء .

يوسف قره ماللى : لكن الشعب يقول كلاماً آخر . . نحن نسمع فى الشوارع كلاماً آخر .

معروف : (وقد أسقط فى يده) الله أعلم .

يوسف قره ماللى : جيش عربى بقّ جيش عشانا عليك يا رب . . الله يساعد عربى غليان ، الفاتحة أن ربنا يطلع الأتراك . بسم الله الرحمن الرحيم (يتمتم بشفتيه) .

معروف : (يثور) قره مالى شحات . . جندى عربى أشجع جندى فى العالم . . جيش عربى حارب مع القره مالى وغلب العالم . . صانع عربى بنى السفن للقره مالى . . أسطول قره مالى صناعة عربية فى ترسانة طرابلس هزم أساطيل السويد والأمريكان . . عربى لا يقهر قره مالى

شحات . . يوك . . بجم . .

يوسف قره مالل : دى أمجاد زمان . . ده تاريخ ، تاريخ مضى وانقضى . . إحنا بندوّر على دلوقت .

معروف : **(فى ثقة)** غوما عنده خطة . . بقولك غوما عنده خطه .

صاحب الدكان : تمام غوما عنده خطه .

يوسف قره مالل : **(يسعل ويبصق ويلهث ثم يلتقط أنفاسه قائلاً)** نشوف الخطة ، الزمن طويل . . طويل . . مستعجلين على أيش ؟.

(صوت المغنى البدوى من بعيد) :

لى زمان يا خال وأنا باطوى البداوى طىّ

الجلب عطشان وعطش الجلب ما له رىّ

لا تبك على اللى راح يا خال دور على اللى جاىّ

لا تنوح على اللى مات يا خال اشفق على اللى حىّ

ده الكل فان ولا يبقى سواه الحىّ

آه نـــدمـــان . . يـــا جـــلى

(يظلم المسرح تدريجياً) . .

(المشهد سجن .. ليل .. نسمع صرير مفصّلات حديد .. نرى البوابة الحديدية تفتح وثلاثة من الحراس الشداد يدفعون بغوما إلى السجن) .

غوما : (يصيح) كلاب .. أنذال .. هذه خيانة .. سوف تشنقون حينما يصل الخبر إلى الوالى .

الحراس : (فى وقت واحد) وإلى مين ؟ .

غوما : سوف تعدمون حينما يعلم السلطان .

الحراس : (فى وقت واحد) سلطان مين ؟.

رئيس الحراس : دى أوامر والى .. عربى مغفل ، دى أوامر سلطان .

غوما : مستحيل هذه خدعة .. هناك معاهدة بينى وبين الوالى .. هناك مرسوم سلطانى .

رئيس الحراس : حضرة سلطان كل يوم يكتب مرسوم ويقطع مرسوم ، عربى حمار .

غوما : سوف تثور القبائل .

رئيس الحراس : تبقى تثور حضرات قبائل .

غوما : لقد أخطأ السلطان التقدير .. إن لى أعواناً فى كل مكان .

رئيس الحراس : فين حضرات أعوان . مفيش حدّ يسأل عن حضرتكم .

غوما : هذا ظلم . . ظلم . . ظلم .

رئيس الحراس : دلوقت عرفت أن العالم فيه ظلم . عرفت متأخر حضرة عربي مغفل ، العالم من زمان فيه ظلم ، وطول عمر الدنيا حايكون فيه ظلم .

غوما : مستحيل . . لابدّ من الثورة . . لابدّ من التغيير

رئيس الحراس : تغير إيش حضرة عربي مغفل (ساخراً) تغيّر هدومك بهدوم السجن إذا كان عاوز

غوما : كلاب . . أنذال . . أوغاد

الحراس : (في وقت واحد) تاني .

(صوت صلصلة سلاسل وصيحات وأقدام)

رئيس الحرس : فيه ضيوف جايين لحضرتكم .

(يظهر ثلاثة من هيئة قيادة غوما « الثلاثة الذين رأيناهم في بداية المسرحية » وهم مقيدون بالسلاسل . . يدفعهم الحراس إلى الزنزانة مع غوما) .

رئيس الحراس : عشان يبقى مؤتمر . .

أصوات : هذه مؤامرة دنيئة .

— هذه خدعة .

— خيانة قذرة . .

— أنذال كلاب . .

(الحراس يلقون بهم إلى الداخل ثم يصفقون الباب) .

رئيس الحراس : (فى سخرية) بكره فى الفجر . كله مشحون فى الباخرة على اسطنبول وبعدين للمنفى فى طربزين على البحر الأسود بعيد . بعيد فى آخر ألمانيا . كل واحد تمبل ياكل ويشرب وينام ويفطر مهلبية على حساب التكية التركية ويغور من وش الأمة العربية . عرب مغفلين عاوزين يعملوا انقلاب على سلطان خليفة آل عثمان أمير مؤمنين . حامى حمى الإسلام . . عرب يوك . . (يبصق فى احتقار)

(ينصرف الحراس . . ينظر السجناء إلى بعضهم البعض وإلى غوما)

أصوات : كلنا فى السجن ما عدا قاسم . .

— قاسم ؟.

غوما : قاسم الخائن الذى قادنا إلى هذا المصير .

أحدهم : (إلى غوما) إنه لم يقدك من يدك إلى وظيفة الباش قوبجى .

غوما : (فى عنف) وهو لم يرغمك أيضًا على قبول مدير فزان
(إلى الثانى) ولا هو أرغمك لتكون مدير بنى غازى
(إلى الثالث) ولا هو جعلك رغم أنفك مديرًا للجبل . .
أنتم بأنفسكم سرتم بأرجلكم إلى الهلاك .

أحدهم : نحن مددنا أيدينا حينما مددت أنت يدك .

آخر : تعاوننا حينما تعاونت . .

آخر : هادننا حينما هادنت . .

— اتخذناك قدوة . .

— قدتنا إلى حتفنا . .

(يكادون يشتبكون بالأيدى) .

أحدهم : إننا لن نتعارك ونحن فى زنزانة واحدة .

آخر : كان يستطيع أن يجنبنا هذه النهاية .

غوما : كان فى حسابى أن أقلب الجيش ولكن الحوادث
سبقتنى . .

آخر : إنه قاسم مرة أخرى . . إنها يد قاسم .

آخر : هذا مصير مدبر . .

— لماذا قبض علينا جميعاً ولم يقبض عليه ؟

— لا أفهم . . ولكن قاسم كان صريحاً واضحاً فى

المحاولة الأولى للمفاوضة مع أحمد قورجي وقد أطلق على قورجي الرصاص ورفض المفاوضة .

غوما : لأن المفاوضة لم تكن صفقة رابحة بالنسبة له . . لم يكن له فيها منصب ولا إدارة .

— أهي إذن صفقات ومناصب ؟

غوما : بالنسبة لقاسم هي كذلك . .

— وبالنسبة لك ؟.

غوما : بالنسبة لي كانت فرصة لعمل انقلاب . . أنت تعرف هذا جيداً .

— لم أعد أعرف شيئاً ولا أحد يعرف شيئاً . . ولم ير الناس انقلاباً ليصدقوا . . والنتيجة أننا نقف بالسلاسل في أيدينا ملوثين أمام العيون . . وليس الناس ضاربي رمل ليعرفوا ما خفي من نياتك .

— الله يعرف وهذا يكفيني . .

— أهذه هي النهاية ؟

غوما : (يضرب بيديه القضبان ويصرخ) . . إنها ليست النهاية . . لم ينته الزمن بعد . . لم ينته التاريخ بعد . . لم أمت ليحكم على الناس . كل ذنبي أني أحببت وطني

لدرجة البلاهة . . وإنى لعائد إلى وطنى بعد سجن
طال أو قصر ليكون لى حساب معك يا قاسم ومع كل
العيون التى ترمقنى فى ازدراء من خلف الجدران .

(ستار)

الفصل الثالث

(ديوان حكومة . . نفس الغرفة الواسعة المفروشة بالطنافس التى رأيناها فى الفصل الثانى . نفس الجدران المحلاة بقرون الوحوش والبنادق المنقوشة بالفضة والسيوف) .

(قاسم يدور حول نفسه كأنه حبيس فى زنزانة . . يقف أمام أحد السيوف المعلقة على الحائط ، ينزله من على الحائط . . ينزعه من غمده . . يلوح به كأنه يبارز شبحاً . . يقف شارداً ، يتجه إلى خريطة على الحائط) .

قاسم : (يشير بظبة السيف إلى مواقع على الخريطة محدثاً نفسه) غوما فرّ من سجن طريزين . . غوما فى بلاد اليونان . . غوما فى إيطاليا . . غوما عبر البحر . . غوما فى تونس ، غوما على حدود جنزور (فى شرود مطمئناً نفسه) بعد اثنتى عشرة

سنة من النفى والسجن . . لا شك أنه تغير . . لن يعود ذلك المقاتل العنيد ، اثنتا عشرة سنة يحدث فيها الكثير . . تشيب الرؤوس . . وتنحنى الظهور . . وتصبح الوحوش بلا أسنان .

(نقرات على باب الغرفة . . يدخل الدفتردار وفى يده أضابير وملفات . . يتهالك على كرسى) .

الدفتردار: الحالة سيئة . . الأهالى يقاومون عملية الإحصاء وقد ضربوا الموظفين وسرقوا طرابيشهم .

قاسم : معذورون . . يظنون أن الإحصاء سيكون مقدمة لمزيد من الضرائب أو لتجنيد إجبارى .

الدفتردار: وأسوأ من هذا أنهم يهاجرون من طرابلس خوفاً من الوباء . . يتسللون تحت جنح الليل بالألوف .

قاسم : أما زال الوباء مستشرياً ؟

الدفتردار: عشرون وفاة منذ البارحة . .

قاسم : حظه سيئ ذلك الوالى الجديد نورى باشا . . أغلب الظن أنه سوف يلحق بسلفه حاجى أحمد عزت فى الآستانة وينضم إلى زمرة المخلوعين . . راغب باشا وأمين باشا وعشقر والجشمة للى وطاهر ورئيف

ونجيب . . ما أسرع ما تتغير الأمور هنا (بنبرة ذات معنى) إن اثنتى عشرة سنة يمكن أن يحدث فيها الكثير أليس كذلك ؟

الدفتردار: نعم سيدى . . وهذا أسوأ ما فى الأمر . . لا شىء يدوم فى هذا البلد أبداً . . ما يكاد شىء يدون حتى يمحى .

قاسم : (يفكر فى شىء آخر) لا . . لست أقصد البلد . . بل أقصد الإنسان نفسه أيضاً يتغير . . تغيّره السنين . أليس كذلك ؟

الدفتردار: (فى شرود) نعم سيدى . . هذا أمر طبيعى .

قاسم : أتراني تغيرت كثيراً فى هذه الاثنتى عشرة سنة من الوظيفة ؟

الدفتردار: امتلأت قليلاً يا سيدى . .

قاسم : وأصبحت حركتى بطيئة . . وأفكارى بطيئة . . وهذه مسائل تغير كثيراً من موازين الأمور أمام العين فأنا الآن أكثر تساهلاً . . وأكثر تغاضياً عن الهفوات . . وأكثر ميلاً إلى المصالحة والمهادنة وطلب الأمان . . وأنت أيضًا تغيّرت كثيرًا فى هذه السنوات .

الدفتردار: (فى تفكير) نعم . . أعتقد أنى تخلّصت من الرطانة التركية

وأصبحت أتقن لهجتكم العربية من طول المخالطة والمعاملة .

قاسم : (ما زال مشغولاً بشيء آخر) لا بل أقصد تغيّرت فى الطباع والأخلاق .

الدفتردار: (حائراً) فى الطباع والأخلاق . . لا أظن أنى تغيرت كثيراً .

قاسم : هل أنت بمثل الحماس الذى بدأت به ؟.

الدفتردار: لا أدرى . . .

قاسم : أعتقد أنك فقدت الكثير من حماسك . . وأصبحت مع الأيام أكثر فتوراً وكسلاً وإهمالاً . . وأكثر قبولاً لأنصاف الحلول .

الدفتردار: هذا يحدث لكل الموظفين عادة .

قاسم : (يطمئن نفسه) ليس للموظفين فقط بل كل الناس يتغيرون مع العمر . . القلوب تفتر والنفوس تشيخ مثل ما تشيخ الأبدان .

الدفتردار: ربما كنت على صواب .

قاسم : يجب أن أكون على صواب وإلا فإننا سوف نهلك جميعاً .

الدفتردار: لا أفهم ..

اللواء التركى : (يقتحم الغرفة هاتفاً فى انزعاج) هناك معارك فى جنزور قاسم بك .. سنجق والى فى مأزق ، عشرات من القتلى والجرحى .. غوما ظهر من جديد .. غوما بنفسه يقود القوات الثائرة هناك .

قاسم : (ينتفض) غوما .. غير معقول ؟!!

ضابط تركى : (يدخل الغرفة منفعلاً) مدافع كثيرات حضرة والى

(صوت مدافع تضرب على اتجاه المتصرفية ..)

قاسم : وهنا أيضًا .

اللواء التركى : غوما فى كل مكان .

الضابط التركى : ثوار فى فزان خلعوا المدير (صوت المدافع) وفى مصراته البدو سرقوا مخازن السلاح .

اللواء التركى : غوما فى كل مكان .

(صوت المدافع تضرب عن قرب أكثر)

قاسم : بعد اثنتى عشرة سنة عاد ليحارب من جديد .. لا أصدق (صوت المدافع تضرب عن قرب أكثر) نعم يجب أن أصدق (صوت مدافع) لابدّ أن أصدق .

اللواء التركى : حضرة بكباشى .. اجمع كل قوات واضرب

حصاراً على المنطقة . . لابدّ جيب رأس غوما . . أريد غوما حي أو ميت .

(يخرج الضابط مسرعاً)

اللواء : هذه المرة لابدّ من القضاء على غوما . . كانت غلطة نفي غوما . . كان يجب قتل غوما وتعليق رأسه على باب قلعة .

قاسم : كان هناك الخوف دائماً من ثورة القبائل .

اللواء : قبائل بدون غوما لا تستطيع حركة .

قاسم : وهذه المناوشات طوال الاثنتي عشرة سنة . . إنها لم تدعنا فى سلام أبداً .

اللواء : على أمل عودة غوما . . غوما هو الروح . . بدون روح جسد عربي يموت .

قاسم : ومن يدريك أنّ غوما آخر لن يبعث بعد موته وربما مائة غوما . . وربما ألف غوما .

اللواء : حضرة قاسم لا يوجد فى تاريخ عرب إلاّ غوما واحد دوخ جيوش تركية . . عشرين سنة وخلع سبعة ولاة . . غوما لا يتكرر . . يوجد شيطان واحد كبير .

(صوت ضربات مدافع هائلة من الجانبين) .

اللواء : هناك هجوم من جانبنا .. مدافع متصرفية ترد .. عفارم .

(صوت مدفع هائل يصم الآذان)

اللواء : عفارم ..

(المعارك على الباب .. الصخب وقرقعة السلاح تسمع واضحة .. يدخل أحد الضباط (جريح وذراعه مضمدة) هناك التحامات بالسلاح الأبيض على أبواب متصرفية ..).

وأخبار سارة حضرة لواء ..

غوما وقع أسير حضرة لواء

قاسم : غوما أسير ؟. أخبار عظيمة حضرة ضابط

اللواء : ترقيات حضرة ضابط .

الضابط : أورطة ١٧ تحت قيادتنا . إضرب حصار . إمسك غوما .

اللواء : هو فين ؟

الضابط : قادم حالاً حضرة لواء

(يدفع الباب فينفتح بشدّة .. ويدخل زحام من الجنود .. كتلة من الجنود تحيط شيئاً فى الوسط لا يظهر) .

أصوات الجنود : غوما .

— غوما مجرم .. :

– غوما حيوان . .

– عربي جبان . .

– قدم تحيات إلى حضرة لواء . .

(يتفتح الزحام لنرى الشيء الذى فى الوسط فإذا به «معروف» عينه وارمة من الضرب)

اللواء : (مصعوقاً) دى غوما تركى بجم ؟

(قاسم يبتسم ابتسامة صفراء مذعورة).

اللواء : دى معروف بن عون بائع روبابيكيا .

الجنود : هو قال إنه غوما .

– كل واحد يقول غوما يبقّى غوما ، تركى بجم ؟

الجنود : (يضربون معروف) عربي كذاب .

– عربي كلب . .

– عربي حيوان . .

– عربي ضلالى . .

معروف : (يصرخ) آى . . مفيش فى قلبكو رحمة يا كفرة . . ألف على واحد .

(المدافع تضرب بقوة أشد . . تهتز جدران الغرفة وتقع رؤوس الوحوش وتقع السيوف من تعاليقها . . الجنود يرفعون أيديهم عن معروف وينظرون إلى بعضهم فى ذعر).

(يظلم المسرح تدريجياً) .

(المشهد ليل . . فى مركز قيادة غوما فى الجبل . . الغنائم متراصة بكثرة . . جوالات مليئة بالريالات الفضية التركية . . أكوام من الملفات والدفاتر . . مدافع وبنادق وذخيرة . قاسم أسير فى يديه السلاسل) .

(معروف يغترف بيديه الريالات الفضية ويقذفها ويعبئ جيوبه ثم يعود فيفرغها ثم يرقص حولها)

معروف : (يأخذ كبشة من الريالات فى حفانه ويقبلها) اللهم صونك نعمة واحفظك من الزوال عشنا وشفنا الفضة فى شوالات .

(يدخل غوما ومعه هيئة قيادته وبعض الجند العرب) .

غوما : (مشيراً إلى الجوالات) هذه النقود تعاد فوراً إلى الخزينة فى طرابلس .

ضابط القيادة : غير معقول هذه غنيمة وهى حقّ مشروع لنا .

غوما : لسنا قطاع طرق ولا لصوص نحن نحارب للحرية وليس للسرقة .

ضابط آخر : ولكننا فى حاجة إلى أموال . .

غوما : لقد حاربنا عشرين سنة بدون أن نسرق أموالاً . .

الضابط : إنها أموال تركية . .

غوما : بل هى أموال مواطنين عرب مثلكم . .

معروف : طيب أملأ جيوبى بس . .

غوما : كف يدك يا معروف . .

قاسم : (هامساً لنفسه فى جانب) إنه ما زال ذلك العربى الأحمق الذى عرفته . . يحارب بقلب الشاعر وسذاجة البدوى . . هذه بشائر النهاية .

غوما : وهذه الأكوام من الملفات والدفاتر لا حاجة لنا بها . . وهى تحوى مصالح الكثير من المواطنين تعاد هى الأخرى إلى الديوان فى طرابلس فوراً . . أنا أقول فوراً .

(الجنود يحزمون جوالات النقود ويحملون أكوام الملفات ويخرجون بأحمالهم مسرعين) . .

ضابط القيادة : هذه شهامة لا أفهمها من جيش من قطاع الطرق . . وماذا ننتظر من جزاء .

ضابط آخر : إنه لن يكون إلاّ جزاءً نكرًا على عادتهم .

غوما : أنا لا أنتظر جزاءً . . إن ما نفعله . . نفعله لنعطى الثورة شرعيتها أمام العالم .

ضابط آخر : لا أحد يهتم بالشرعية وعدم الشرعية فى عالم من القتلة

والسفاحين .

غوما : ولكننا شرفاء ونحن نقول إننا شرفاء .

ضابط : لا أحد سوف يهتم بأقوالنا .

غوما : ولكن هذا لن يغيّر الحقيقة . . إننا كنا دائماً شرفاء . . وإننا ضربنا المثل .

الضابط : أنا لا أفهمك .

غوما : (فى أسى) تستطيع أن تحارب مع الجانب الذى تفهمه . . أنا لن أفرض عليك قيادتى .

الضابط : مهما اختلفنا فإنى عاجز عن تركك وإنى لأزداد بك إعجاباً رغم كلّ شيء .

غوما : (ناظراً إلى قاسم فى قيوده) فكّوا قيد هذا الأسير ودعونا وحدنا بعض الوقت .

يفكّون قيود قاسم ثم يخرجون .

غوما : هانحن أخيراً وجهاً لوجه مرة أخرى (يفحصه بنظراته) لقد تغيّرت كثيراً يا قاسم ، أصبح لك كرش مثل الأتراك . . وأصبحت بليد النظرات مثل جباة الضرائب . . صفراوى البشرة . . ممعوداً من كثرة الحلوى الدسمة . . حسناً . . لا شكّ عندك الكثير

لتقوله لى اليوم .

قاسم : أعترف بأنى ما زلت أشعر بالحيرة . بعد اثنتى عشرة سنة ما زلت لا أفهمك .

لا أدرى لماذا تعيد المال إلى خزينة الوالى ؟.. أهو استعطاف ذكى وبرهان مقنع على حسن النوايا لتفوز بعفو عاجل وفرمان سلطانى بالولاية على البلاد ؟. أم هى نزوة الشهامة الحمقاء والشرف البدوى الساذج الذى يلازمك ؟.

غوما : وماذا ترى ؟.

قاسم : اغفر لى شكّى . . ولكنى أفكر دائماً بطريقة بشرية جداً . . ولا أراك إلاّ انتهازياً رفيع الأسلوب بعيد الغايات .

غوما : (يضحك) إنك لم تتغير كثيراً فى تفكيرك .

قاسم : لا أعتقد أن الناس يختلفون أمام إغراء السلطة . . كل الفرق أن بعضهم يمكن شراؤه بكيس ذهب واحد وبعضهم يحتاج شراؤه إلى ألف كيس . والبعض يشترى بخزينة السلطان كلها لأنه يريد أن يكون السلطان نفسه . . كلنا وصوليون وإنما تختلف العتبة

التى تقف عندها أطماعنا . .

غوما : رأى مريح على أى حال .

قاسم : نعم يعفينى على الأقل من هذا التقديس الزائد الذى يشعر به جنودك نحوك . فأنت أمامى لصّ كبير . . أنا وقفت أطماعى عند نائب الوالى . . وأنت تريد أن تكون الوالى نفسه . .

غوما : والمبادئ يا قاسم ؟.

قاسم : نسكت عنها نحن الاثنين عندما نصل إلى أغراضنا وننشغل بما فى أيدينا من حلوى تركية دسمة . .

غوما : لا أعرف بماذا أرد عليك . . فالقصة لم تنته بعد .

قاسم : إذن لندع التاريخ يردّ بنفسه . .

(ضابط عربى يقتحم الغرفة هاتفاً فى قلق) :

— جيش تركى من ثلاثين ألف مقاتل يزحف من طرابلس مزوّد بالأسلحة الثقيلة والذخيرة والمؤن والعربات . . سفن كثيرة فى الميناء تنزل العتاد والإمداد . . جناح جيشنا فى الجبل مطوّق والقوة التركية التى تحاصره تشترط الإفراج عن الأسرى وعن قاسم لفك الحصار . .

(لحظة صمت) . .

الضابط : أرى أنه لابدّ من فكّ الحصار لإنقاذ الجيش المحاصر والعودة به سليماً إلى الحدود قبل أن يصل الجيش التركى . .

غوما : لا يبدو أننا نملك اختياراً فى الأمر . . معك حق . .

الضابط : ربما اضطرتنا الظروف إلى العودة إلى حدود تونس ذاتها . .

غوما : هذا لا يهم . . يجب أن نسبق الوقت أولاً قبل أن يسبقنا . . أعيدوا الأسرى الترك إلى السنجق التركى . .

الضابط : وقاسم ؟.

غوما : (بعد لحظة تفكير) قاسم أصبح ضابطاً تركياً . . حتى عقله أصبح عقلاً تركياً . . لم يعد قاسم منّا . . أعيدوه إلى مواطنيه الأتراك . .

الضابط : (فى ثورة) بل نقتله . . هو خائن . .

غوما : لا أرى ما يدعو لذلك . . ألا ترى أنه مات من سنوات (يشير إلى قاسم المصفر كالموت) . . وأنه قتل نفسه . . وأعفانا من قتله ثانية . .

(يظلم المسرح تدريجياً)

(المشهد الآن ليل فى تونس . .
مضارب خيام غوما وأتباعه . .
نصف المسرح صحارى والنصف الآخر خيمة غوما . .
جمع من الجنود والفرسان العرب من ضباط القيادة يقفون بالصحراء
تحت ضوء الفوانيس . .)

أحد الضباط : (يرسم على الرمل دوائر بطرف بندقيته فى ملل) طالت بنا الإقامة فى هذه الغربة الموحشة . . ولا البلاد بلادنا ولا الأرض أرضنا . .

ضابط آخر : ليس أمامنا اختيار . . لو أننا فكّرنا فى العودة إلى بلادنا لتلقفنا الجيش العثمانى على الحدود . .

ضابط آخر : وإلى متى نعتمد على كرم ضيافة باى تونس . . والوشاة من الترك يملأون قلبه بالشك والريبة ويوسوسون له بالشر . . ويقولون له كيف تنام آمناً وأنت تؤوى فى بلدك الألوف من قطاع الطرق وعلى رأسهم رجل لا هم له إلا هدم العروش وخلع الولاة . . شيطان لا يؤمن له جانب . .

جندى آخر : إننا نائمون على برميل من البارود يوشك أن ينفجر . .

جندى آخر : لو أننا ثبتنا وقاتلنا لآخر رجل لكان أفضل لنا من حياة التشرد هذه . .

ضابط : كان من المستحيل أن نستمر فى قتال جيش من ثلاثين ألف مقاتل ونحن لا نبلغ ثلاثة آلاف . . كانت المواجهة انتحاراً . .

ضابط آخر : لم يكن هناك بدّ من هذا الانسحاب المنظم واللجوء إلى تونس . .

ضابط : ومع ذلك فلا اطمئنان لنا هنا أبداً ولا استقرار وجواسيس الوالى رائحة غادية بالرسائل إلى الباى ، وبالتحريض تلو التحريض . .

ضابط آخر : والميرلاى بورشيد القائد التونسى رجل شديد المراس وعسكره لا يبرحون المنطقة . . إنى أشم الخطر تحت هذه الرمال الهادئة . .

جندى : أرأيت ما كان من أمر المنادى الذى راح يتلو بالأمس فى كل محفل وكل سوق على جند الميرلاى بور شيد نداء الباى .

الضابط : نعم سمعت ويودى أن أعرف ماذا كان بهذا النداء . .

الجندى : سمعنا أنه استنفار للجنود وحثّ على الاستعداد . .

الضابط : استعداد لماذا ؟

الجندى : لا أعرف . . لقد ذهب معروف يستطلع منذ البارحة

(يتلفت حوله) ها هو . . لعله عاد بخير . .

(نرى غوما يخرج من خيمته فى نفس اللحظة متجهاً إلى الجنود يلتقى غوما بمعروف والجنود . . معروف يحمل مخطوطاً) . .

معروف : (إلى غوما) سمعت فى السوق أن رسولاً من الباى قادم إليك . .

غوما : يحل بنا مكرما . .

ضابط : (يأخذ المخطوط من يد معروف) . هل هذا ما كان يتلوه المنادى فى الأسواق أمس ؟

معروف : نعم . .

الضابط : (يفض المخطوط ويقرأ بسرعة وانفعال وفضول على ضوء الفانوس) من عبد الله المتوكل عليه المفوض جميع الأمور إليه المشير محمد الباى إلى أهل الغيرة من الضباط والعساكر . أما بعد : فإن الله قرن النجاح والظفر بطاعة المأمور للأمير فى الشاق واليسير والقليل والكثير . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) . . وهذا أميركم بورشيد حسبه أن يأمركم بما يرى من عمل وحسبكم المسارعة بالامتثال فى أى جهة وعلى أى حال ،

واعلموا أنه يباشركم بيدى ويأمركم بلسانى وأنكم بقوة
الله مظهر قوتى وصولتى أقتاد بكم العصاة وأذل بكم
العتاة والحمد لله الذى ما خاب طائعه ولا ضاعت
ودائعه . .

**(كتب فى العشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين ومايتين
وألف) .**

غوما : نداء غريب . .

ضابط آخر : إنه استنفار واضح للجنود للتحرك إلى أى جهة وأى
حال ، والامتثال بما يرى قائدهم من أعمال لاقتياد
العصاة وإذلال العتاة . .

ضابط آخر : ولم يقل لنا من هم العصاة ولا من هم العتاة . .

ضابط آخر : إنه لم يتّهم أحداً ولكن الاتّهام يحلّق على رؤوسنا
جميعاً . . .

غوما : لا أحسبه يخون الضيافة . . هذا أمر ليس فى طبيعة
العرب . .

ضابط آخر : أعتقد أن المندوب الذى سوف يأتيك من الباى سوف
يجلو لنا هذه الشكوك . .

(معروف يتنهد . .) . .

غوما : مالك مهموم يا معروف . .

معروف : كانت فى يدى شوالات من الريالات الفضة السلطانى ، صبحت قاعد أقول آه يانى طيب كنت سيب لى شوال أصلح بيه الحال . . يعنى شوال الفلوس مش أحسن من ذلّ النفوس اللى احنا فيه ده . .

غوما : ذلّ النفوس فى الجرى وراء المال . . . الكرامة أن تستغنى لا أن تكون غنيًّا يا معروف . . أنت لم تجرب . .

معروف : جربت والله ترقيع الكساوى والشحاتة ع القهاوى وشبعت من البلاوى . .

(ضحك) . .

غوما : كلما زاد ما تلقّى من عذاب فى هذه الدنيا فهذه بشارة بقرب الفرج وبأن الله سيأخذ باليد . .

معروف : (فى خوف) الله لما بياخد باليد ما بيسيبهاش يا مولانا . . بياخدها على طول فوق .

غوما : ونعم الرحلة إلى جنة الشهداء . .

معروف : (فى ذعر) جنة الشهداء ؟ ! ! الله يطمنك . . لا يا سيدى خلينى فى جهنم الحرامية وهات لى شوال أحسن (الضابط

والجنود يضحكون ويدغدغون معروف فى جنبه) .

جو من المرح يغرق جو الكآبة القلق.

يقطع الضحك صوت سنابك حصان سريع .

ثم يدخل فارس تونسى .

حينما يصل إلى غوما يترجل عن حصانه ويتقدم فى احترام.

الفارس التونسى : (لغوما) سيدى . . مولاى الباى يقرئك السلام ويحملنى إليك رجاء . . هل يمكن أن نتحدث على انفراد بعض الوقت ؟.

غوما : لا أسرار بينى وبين هيئة قيادتى . . . فلنمض كلنا إلى الخيمة . . ولنتحدث فيما جئت به . .

يأخذ الفارس التونسى من يده ويمضى إلى الخيمة ومن خلفه ضباط قيادته . .

تنطفئ الأنوار فى الصحراء فى الخارج ولا تبقى إلا الخيمة مضيئة .

يتخذ الكل أماكنهم على الحشايا المتراصة حول الموائد وتدور القهوة العربية يحملها معروف . .

غوما : نحن كلنا آذان صاغية . .

الرسول : سيدى إن الموضوع شديد الحرج فأنتم هنا على الحدود

تعبئون حملة للهجوم على الحكام العثمانيين فى طرابلس – وباى تونس تربطه بكم مشاعر المودّة والحفاظ على العهد وحسن الضيافة ، ولكن أيضًا تربطه مشاعر حسن الجوار مع جيرانه العثمانيين ، وهو لا يريد أن يكون عونًا على عدوان ولا خائنا لعهد الجار ، ولا هو يريد أيضاً أن يخون عهد الضيافة . . وهو لهذا يقترح حلاً وسطًا أن ترحلوا بعسكركم إلى دواخل تونس بعيداً عن الحدود وبعيداً عن استفزاز الجيران .

(لحظة صمت لا تسمع فيها إلا رشفات القهوة) . .

غوما : هذه رحلة محفوفة بالمخاطر . . ودواخل تونس صحارى جرد يشح فيها الماء . . وسوف تكون حياتنا فيها حياة العزلة بين قبائل لا نعرفها . .

الوسول : إن كنت تخشى من أخطار الطريق فإن الجيش التونسى بألويته وفرسانه على استعداد لحراسة قواتكم . .

غوما : لسنا فى حاجة لمن يحرسنا . . إنما الوحشة والانقطاع والبعد عن الهدف الذى احتشدنا من أجله هو ما نخشى .

الرسول : إن الميرلاى بورشيد يخيرك بين هذا وبين الجلاء عن البلاد .

غوما : (يفيق فجأة) أهو تهديد ؟..

الرسول : بل هو رجاء الصديق . . ولك الخيرة فيما تختار . .

لحظة صمت . .

غوما : حسناً . . سوف أفكر فى الأمر . . وأبلغك . .

الرسول : نسأل الله الهداية . . أستأذنك .

(يقوم غوما والضباط

غوما يودع الرسول عند باب الخيمة .. يختفى الرسول فى ظلام الصحراء ثم نسمع سنابك حصانه تبتعد مسرعة .. يعود غوما وصحبه إلى داخل الخيمة .. غوما قلق يروح ويجئ فى عصبية)

غوما : إذن هو التهديد فى النهاية ؟

أحد الضباط : الرأى أن نذهب إلى دواخل تونس كما يريد الباى حتى تهدأ الأحوال . .

غوما : الذهاب إلى دواخل تونس معناه أن نقبر نحن وآمالنا بين بدو جفاة يقطعون الطريق من أجل قربة ماء . . معناه أن تتقطع بنا السبل فلا نبأ يأتينا من بلادنا ولا نبأ يصدر عنا . . معناه الموت ببطء جوعاً وعطشاً وعزلة . .

أحد الضباط : وما سبق من نداء الباى إلى جنود الميرلاى بورشيد يكشف لنا سوء النوايا فالجند يحشدون ويجهزون لاقتياد العصاة . .

ضابط آخر : العصاة الذين لا يسمعون النصيحة .

ضابط آخر : وإذا قبلنا النصيحة وتركنا تونس سوف نقع فى قبضة ثلاثين ألف مقاتل عثمانى على الحدود فى انتظار لحظة خروج الطائر المهيض الجناح من القفص .

ضابط آخر : وإذا بقينا فى تونس وقعنا فى قبضة جنود الميرلاى بورشيد . .

ضابط آخر : أهى النهاية ؟..

ضابط آخر : الرأى لغوما . .

غوما : رأيى أن الذهاب إلى دواخل تونس هى هجرة اليأس التى لا أمل بعدها سوى الموت . . الموت بلا معركة محاصرين بالرمال من كل الجهات . . موت لن يكلف العثمانيين ولا التونسيين رجلاً واحداً ولا طلقة رصاص . .

ضابط : وما الرأى إذن ؟.

غوما : أن نبقى . .

الضابط : ونحارب فى جبهتين ؟

غوما : هناك أمل دائمًا لمن يحارب . أما من يستسلم فلا أمل له . .

لحظة صمت ثقيلة كئيبة . .

غوما : (محاولاً إشاعة بعض التفاؤل) هناك أمل فى الإفلات من كلاّبة التونسيين والعثمانيين والعودة إلى الجبل أو إلى دواخل ليبيا حيث أهلينا وجيراننا ، إنه الاختيار الصعب ولكن ليس لنا غيره

(الوجوم على كل الوجوه . ومعروف متجمد كتمثال . . يظلم المسرح تدريجياً) .

(المشهد صحراء ظهرًا . ضوء شديد ، الشمس المحرقة تكوى الرمال ، نرى خيمة كبيرة ممزقة فى بعض أماكنها هى خيمة غوما إلى جوارها فرس مقتولة ومغطاة بعلاءة ، نرى من بعيد غوما قادما من الخلفية يحمل زمزمية ماء ويسير متباطئاً وعلى كتفه البندقية والسيف يتأرجح فى نطاقه ، ملابسه تمزقت هى الأخرى وبدأ عليه الإعياء والإرهاق . . خطوته المتهالكة تدل على التعب وطول الجلاد والصراع ، لا نرى أثرًا لباقى الجيش . . يقترب غوما من الخيمة ، يركع إلى جوار الفرس القتيل ويرفع فمها ويدلق فيها قطرات الماء من الزمزمية ولكن رأسها الثقيلة تسقط بلا حراك . . لقد فارقتها الروح)

غوما : (راكعاً إلى جوار فرسه القتيل) ماتت رفيقة النضال ، وتوأم
الحروب والنزال . . يا لوعتى على ذراعى الوحيدة . .
ضاعت يدى اليمين (يقبل كل قدم من أقدام فرسه الميتة باكياً)
كالرعد كنت كالبروق كالرياح . . يا ربتى الجميلة
الوفية .

تمضى لحظات وهو راكع متشبث بأقدام الفرس
الميتة يبكى فى صمت وينتفض . يرفع رأسه ويتلفت
حوله فى الصحراء الخالية .

تفرق الجنود لا أثر . . البيد أصبحت خراب . .
لا صوت لا خبر . حارب الفرسان كالأبطال كل واحد
بألف . . تساقطوا على ذرى الجبال (يصرخ صرخة هائلة)
الظلم مفترس . . جند الظلام كثرة بلا عدد . .
رباه . . أنت وحدك المدد . . لو كرّ جحفل الظلام
ألف عام . . لابد طلعة النهار مقبلة .

(تظهر خادم على باب الخيمة . . تقترب منه وفى يدها طبق به ثريد
وجرعة ماء) .

الخادم : أنت جوعان .

غوما : كيف حال معروف ؟

الخادم : أنت جوعان سيدى .

غوما : هل أكل معروف ؟.

الخادم : اشرب جرعة ماء ترد لك روحك .

غوما : هل شرب معروف ؟.

الخادم : إنه بالداخل ما زال غائب الوعى .

(يدخل غوما الخيمة ومايلبث أن يخرج وهو يحمل على صدره معروف .

غوما فى مقدمة المسرح وقد جلس على الرمال وضم معروف إلى صدره

معروف يفتح عينيه لأول مرة ويتنهد

غوما يسقيه جرعة من ماء الجرة)

معروف : (يتكلم بصعوبة) عشت طول عمرى جباناً أخاف الموت لأنه مؤلم . . ولكن الموت لا يؤلم . . الموت لا يؤلم يا إخوتى . . إنما العار هو الذى يؤلم .

غوما : ما عادت الشفتان تضحكان . . جف نبع الأنس والمرح .

معروف : أين الرفاق ؟.

غوما : هل تستطيع الضحك يا معروف . ؟

معروف : الضحك ! !؟

غوما : على الذى كان ثم لم يكن . . على الجنون مطلق
السراح . . والحق مهدر ومستباح . . على الشفاه
أصبحت رمم تنوشها الذئاب والصقور .
(فى شرود) أكان حلماً ما جرى . . أكان وهماً من
صنائع الكرى .
أيأتى الموت يا إلهى نفتح العيون . . نهبّ من رقدة
الخيال . . نصحو على رؤية الحقيقة .
ما أجمل الموت إذن . . والهوى .

(صوت مدافع وطلقات رصاص

تخرج من كل جانب من خلفية المسرح فى فرقة تركية مدججة
بالسلاح تتقدم من جميع الجهات فى حصار محكم وتطلق
الرصاص)

غوما : (يهب وقد أخذ يطلق بندقيته فى كل اتجاه وهو يصرخ) والهوى
(ينطلق مهاجماً ويطلق الرصاص . يلوى بندقيته بعد نفاد ما فيها من
ذخيرة ثم يجرد سيفه يهجم فى بسالة جنونية وهو يصرخ)
يا مرحباً بالموت فدية لطلعة النهر

(مبارزة عنيفة يبارز فيها عددا متزايدا من الفرسان . . يسقط قتلى من
الترك . . يجرح غوما يهب معروف لنجدته ولكن رصاصة تعاجله

أهل بيت غوما وحريمه ملثمات فى الحجاب يخرجن فزعات على باب الخيمة يسقط غوما بطعنة قاتلة مجندلا فى دمائه .

تصرخ بناته صرخة رهيبة

الجنود الأتراك يحملون جثة غوما وجثة معروف ثم يجرون بهما إلى الخلفية ثم ينطلقون بهما على ظهور الخيل

بنات غوما مولولات فزعات يهرعن خلف الجنود ثم يعدن فى خيبة فيركعن إلى جوار بقعة الدم حيث كان البطل مجندلا وهن يصرخن بلغتهن البدوية نادبات) :

يا طار غوما طار نقلوه فى مشوار

يا طار بابا خليفة فى النجع لا من كيفه

بعده قعدنا جيفه قعاد الحطب فى الدار

يا طار بابا خدوج مولى الجحاف العوج

سكان كل فجوج والنجع بعده حار

(صوت المغنى البدوى يأتى من بعيد .. يرتفع صوت المغنى) :

لا تبكى يا عين

ده موت لأبطال ميلاد لعزم الرجال

وفجر طالع من سواد الليالى

يا شمس الأفراح

يا دم نابع من بطون الجراح

يا فدية الجود والأيادى السماح

مبروك علينا الشهيد

مبروك يا خال

والصبر يا جلى .

(ستار الختام)

رقم الإيداع	٨٩٠٥/ ١٩٩٥
الترقيم الدولى	ISBN 977 - 02 - 5070 - 8

١ / ٩٥ / ٤٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

هذه المجموعة

تحرص دار المعارف دائما على تقديم الأعمال الكاملة لكبار المفكرين والأدباء. والدكتور مصطفى محمود واحد من هؤلاء الذين أخلصوا للقلم.. فأثرى ساحة الفكر والعلم.. وطَرَق أبوابًا جديدة لم تفتح من قبل.. فتنوع إنتاجه بين القصة والرواية والمسرحية وأدب الرحلات.. إلى جانب تلك المؤلفات التى تحفل بالنظرات المعاصرة للفكر الدينى والمقارنة بالنظرات العلمية الحديثة.. والتى لاتزال تثير مزيدًا من الجدل المفيد.

وقد امتد تأثير فكر الدكتور مصطفى محمود إلى القراء العرب من الخليج إلى المحيط كما ترجمت بعض أعماله إلى اللغات الأجنبية شاهدة بقدرته على العطاء المتميز المتفرد.